

العتبة العلوية المقدسة
IMAM ALI HOLY SHRINE

الولاية

مجلة علمية ثقافية شهرية تصدر عن
العتبة العلوية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية

السنة العشرون العدد 208
جمادى الأولى 1448 هـ - 2026 م

في العدد

خطاب الزّهراء عليها السلام وتجلّياتُه - قراءة حجاجيّة
م.م. زهراء سالم جبار
مديرية تربية النجف الأشرف

حوار مع الدكتور التونسي علي البوجديديّ الاستاذ في جامعة قابس
حاوره: هاشم الباججي

الأرخبيل الذي احتضن الذاكرة الشيعية: قراءة في الجذور والتحولات
الباحث: مصطفى الحسيني
العتبة الحسينية المقدسة

صناع التاريخ المجهضون: قراءة في ثورة المختار الثقفي ومشروعه العلوي
د. وسن صاحب عيدان
جامعة الكوفة - كلية الآداب


بسم الله الرحمن الرحيم



حوزة النجف الأشرف..
درس الألف عام

السيد عيسى الخرسان
الأمين العام

هذهِ النجفُ الأشرفُ، تربةٌ ضمتْ وليَّ الله، وأخا رسولِ الله، ومشهدٌ باركتهُ أظلةُ العرشِ، وهوتْ إليهِ أفئدةُ المؤمنينَ، فغدتْ في جوارهِ مأرَزَ العلمِ، ومَعقِدَ لواءِ الفقهِ، ومُحتدَ أهلِ النظرِ والاجتهادِ، ثم قدمَ شيخُ الطائفةِ، أبو جعفرٍ محمدُ بنُ الحسنِ الطوسيُّ، قدّسَ سرّهُ، فنزلَ النجفَ، وجعلَ جوارَ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام محطَّ رحلهِ ومقرَّ درسهِ؛ فقصدَهُ أهلُ العلمِ من الآفاقِ، واختلفتْ إليهِ وجوهُ الفقهاءِ وأصحابِ الحديثِ، وبقيَ ذكرهُ في مصنفاتهِ وتلامذتهِ، يتناقلهُ العلماءُ كابرًا عن كابرٍ، حتى ثبتَ للنجفِ مقامُها في الفقهِ والأصولِ، وصارَ قصدُها من مقاصدِ أهلِ العلمِ في سائرِ الأمصارِ.

فكانَ العلامةُ الحليُّ من أعلامِ هذا الطريقِ، وقد حفظ لهُ جليلَ اجتهادِهِ، وبعيدَ غورِهِ في الفقهِ والاستدلالِ، وعلى امتدادِ هذا الطريقِ جاءَ السيدُ محمدُ مهدي بحرُ العلومِ، وشهدتْ له مُؤلفاته بعلوِّ قدمِهِ ونفاذِ بصيرتِهِ، ومن ذلكَ المورِدِ العذبِ نهلَ الشيخُ جعفرٌ كاشفُ الغطاءِ، فارسُ الفقاهةِ ونحريرُ النباهةِ، ثم نهضَ صاحبُ الجواهرِ، الشيخُ محمدُ حسنٍ النجفيُّ، فمضى بالفقهِ في أوسعِ مجاريهِ، ثم بلغَ التحقيقُ مع الشيخِ الأعظمِ الأعلمِ، مبلغًا آخرَ من إحكامِ النظرِ؛ فكانَ ينفذُ إلى مآخذِ الكلامِ، ويقفُ على مواقعِ الإشكالِ، ويستخرجُ وجوهَ الدليلِ، وعلى ما أصّلهُ الشيخُ الأنصاريُّ قدسَ اللهُ نفسَهُ، أحكمَ الآخوندُ الخراسانيُّ مبانيَ الأصولِ، فحررَ دقائقَها، وكشفَ وجوهَها، حتى غدتْ عمدةَ الدرسِ، ومجمعَ أنظارِ المحققينَ، ثم جاءَ السيدُ محمدُ كاظمُ اليزديُّ، فجمعَ مسائلَ الفقهِ العمليِّ، وأحكمَ ترتيبَها، وضبطَ فروعَها، وعلى هذا التراثِ الأصوليِّ والفقهيِّ، نهضَ الميرزا محمدُ حسينٍ النائينيُّ، فأحكمَ مبانيَ الأصولِ، وكشفَ مغاليقَها، وحررَ دقائقَها، وبسطَ معضلاتِها، فكانَ للحوزةِ الشريفةِ بهِ عهدٌ آخرُ من عهودِ التدقيقِ والتأسيسِ.

ثم حملَ رايةَ هذه المدرسة، السيدُ محسنُ الحكيمُ، فكانَ نافذَ البصرِ في الفقهِ، بعيدَ الغورِ في النظرِ، وأدى أمانةَ المرجعيةِ في زمانِهِ، إلى أن استقرَّ عُبابُها إلى فقيدِنا الراحلِ، وعميدِنا البازلِ، السيدِ أبي القاسمِ الخوئيِّ، فكانَ مجلسُهُ مجمعَ التحقيقِ والتدقيقِ، وامتدَّ أثرُهُ في حلقاتِ الدرسِ والتأليفِ، وتخرجَ على يديهِ جماعةٌ من أعلامِ العلماءِ.

ثم انتهى الأمرُ إلى سيدِنا المفدى، ومرجعِ الطائفةِ الأعلى، آيةِ الله العظمى السيدِ عليٍّ الحسينيِّ السيستانيِّ، حفظَهُ اللهُ تعالى، فكانَ من أعلامِ هذه المدرسةِ الراسخةِ، جامعًا بين رسوخِ الفقهِ ودقةِ النظرِ وورعِ المرجعيةِ، وظلَّ مجلسُهُ امتدادًا لذلكَ الدرسِ النجفيِّ الذي حملَ الفقهَ والأصولَ من عصرٍ إلى عصرٍ.

وهذهِ الأسماءُ، على جلالةِ أصحابِها، إنما هي من نجومِ هذهِ السماءِ؛ أما المدرسةُ نفسُها فأوسعُ من أن تحصرَ في رجلٍ، وأبقى من أن تنقضيَ بانقضاءِ طبقةٍ، ولم تكنِ الحوزةُ في النجفِ مقطوعةً عن أصلِها، ولا مبتدئةً من يومِها؛ وإنما كانتْ فرعًا من أصلٍ ثابتٍ، يحملُ آخرُها عن أولِها، ويأخذُ خلفُها عن سلفِها، علمًا بعدَ علمٍ، ودرسًا بعدَ درسٍ، حتى غدا الزمانُ على تعاقبِهِ كأنما هو مجلسٌ واحدٌ، والعلماءُ على تباعدِ أعصارِهم كأنهم أهلُ طبقةٍ واحدةٍ.

ونسألُ اللهَ تعالى أن يحفظَ حوزةَ النجفِ الأشرفِ، وأن يصونَ مقامَها، ويباركَ في علمائِها وطلابِها، وأن يجريَ على أيديهم كلمةَ الحقِّ، ويجعلَهم من حملةِ دينِهِ وأمناءِ شريعةِ نبيِّهِ، وأن يوفقَ هذهِ المدينةَ المباركةَ لأن تبقى كما أرادَ لها أميرُ المؤمنينَ عليه السلام، معقلًا من معاقلِ التوحيدِ، وحصنًا من حصونِ الإيمانِ.







قسم الشؤون الفكرية والثقافية

المشرف العام	السيد عيسى الخرسان
رئيس التحرير	د. محسن عبد العظيم الخاقاني
مدير التحرير	د. حسين فاضل الحكيم
سكرتير التحرير	هشام أموري السماك
المحررون	هاشم محمد الباججي حيدر رزاق الكعبي عبد الحسن هادي الشافعي
التصحيح اللغوي	د. ستار عبد الله العيداني
السلامة الفكرية	المجمع العلوي للبحوث والدراسات الإسلامية
توليد الصور	أحمد مكي القريشي
التصميم والإخراج	حيدر حميد الكريطي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (1121) للعام 2008م
رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين العراقيين (744)
alwelayh.com - info@alwelayh.com - 07700553150


٢٩
مع الحق


٤٥
بلسانٍ علويٍّ مُبين


٥٥
الصراط المستقيم


٦١
الشرق والغرب


٦٩
حوار العدد


٨١
لسان الأمة


٩١
ذاكرة الأمم


١٠٩
لاذوا بالجوار


١١٥
أروقة الحرم

حدث في مثل هذا الشهر

أبرز الأحداث التأريخية

لشهر جمادى الأولى

- الخامس منه ولادة السيدة زينب عليها السلام سنة ٥هـ.
- السادس منه حرب مؤتة واستشهاد جعفر بن أبي طالب عليه السلام سنة ٨هـ.
- العاشر منه واقعة الجمل سنة ٣٦هـ.
- الثالث عشر منه شهادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام سنة ١١هـ.
- الخامس عشر منه فتح البصرة على يد أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٣٦هـ.
- الثاني والعشرون منه، وفاة القاسم بن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام سنة ١٩٢ هـ.
- السابع والعشرون تجدد الأعتداء على مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام سنة ١٤٢٨هـ.

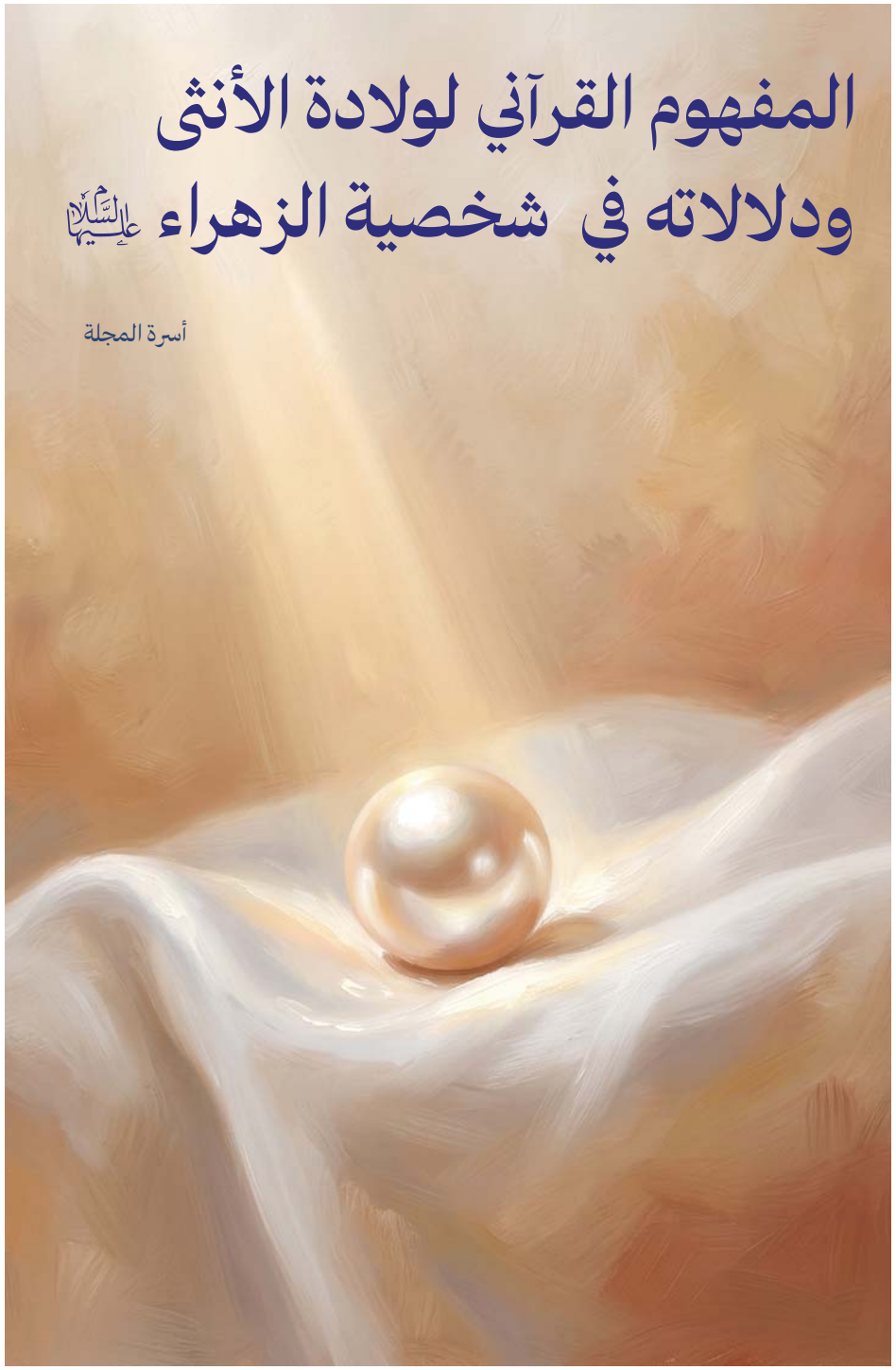
قـاف

▪ المفهوم القرآني لولادة الأنثى ودلالاته في شخصية الزهراء عليها السلام

أسرة المجلة

المفهوم القرآني لولادة الأنثى ودلالاته في شخصية الزهراء عليها السلام

أسرة المجلة



يُعبّر القرآن الكريم عن المجتمع الجاهلي عند ولادة الأنثى بتعبيرٍ فريدٍ، يحاكي الشعور، ويترجم السلوكيات، بوصفها ردود أفعالٍ لحدثٍ يُفترض أنه من مفاصل الحياة الطبيعية في إنجاب البنات، ولولا مثل هذا الحدث لتوقفت الحياة، وانقرض جنس البشر، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾[النحل: ٥٨-٥٩].

يصف هذا التصريح طبيعة الحالة النفسية لمن يُبشّر بالأنثى من عرب الجاهلية، من الشعور بالهوان إلى التحسس بالعار المستقبلي؛ نتيجة الأعراف السائدة آنذاك، والمخالفة للطبيعة الإنسانية التي جبل الله تعالى عليها خلقه، مع ما تختلجه الحالة العاطفية الطبيعية للأبوّة.

فضلاً عن أنه صرّح بقيمة الأنثى ومنزلتها في الإسلام، فمثّلت أعظم عطايا الله سبحانه ولكون عملية الإعطاء تقوم على ثلاثة أركان رئيسة هي:

١-إنّ العطاء يتناسب مع كرم المُعطي وقدرته على العطاء غير المحدود، وعدم احتياجه لما أعطاه.

٢-يتناسب العطاء مع طبيعة الشخص المُعطى له، وتفرده بمزاياه الخاصة، وتفوّقه على جميع المخلوقين، ليستحق بذلك أجزل العطاء وأرفعه منزلة وأعلاه شأنًا.

٣-مناسبة قيمة العطاء وعِظم العطية وتميّزها بنوعها على جميع الهبات والعطايا؛ حتى أن الشخص المُعطى له يصل بذلك العطاء إلى حالة الرضا المطلق، فلا يبتغي دونه عطاءً أبدًا، قال تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾ [الضحى: ٥].

والتعبير القرآني -في هذه الآية- يُجمل طبيعة العطاء الإلهي لنبيّه المستوجب تحقق رضاه به، ولكن في مواطن أخرى بيّن ذلك الإجمال بجعل الذرية من مصاديق العطايا للإنسان، وما يُؤيده أن الذرية الصالحة أحد أعظم عطايا الله سبحانه للإنسان المحسن قوله تعالى: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً**﴾، "يعني: عطية من عطاء الله قال ابن عباس: النافلة هو يعقوب؛ لأن الله تعالى أعطى إبراهيم إسحاق بدعائه حيث قال:﴿ **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد"[١]، فمعنى النافلة العطية وإسحاق ويعقوب كانا جميعًا من عطاء الله تعالى؛ ذلك أن أحد أهم مراتب السعادات الخارجية في الدارين حصول الأولاد النجباء[٢].

ويأتي التعبير القرآني على تفصيل ما أُجمل من العطاء -تحديدًا- لشخص

النبي ﷺ حتى الرضا، بأن صرّح بإعطائه الكوثر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، ويقال في اللغة: الكوثر للرجل الخيّر المعطاء، كثير العطاء، فأصل الكوثر هو الكثير من الأشياء المختلفة، وتستعمل غالباً في الأشياء الحسنة[٣].

ويرى كثير من المفسرين، أن الكوثر يشير إلى كثرة النسل النبوي، الذي استمر عبر ذرية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فجاء في تفسير الرازي (ت: ٦٠٦هـ) – مثلًا- عرض لما قيل في معنى الكوثر ويرجح أحدها بقوله: "الكوثر أولاده قالوا: لأن هذه السورة إنما نزلت ردًا على من عاب النبي ﷺ عدم حصوله على الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلًا يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت عليهم السلام، ثم العالم ممتلئ من ذرياتهم، ولم يبقَ من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الائمة كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم"[٤].

فالتفسير الراجح يشير إلى الخير الكثير في الكوثر، ومن أعظم مصاديقه السيدة الزهراء عليها السلام؛ والملائم مع جو السورة أنّ سبب نزولها أن السيدة الزهراء عليها السلام مثلت أبرز مصداق للخير الكثير لدى المفسرين.

من هنا يتضح بركة حدث ولادة الأنثى في القرآن الكريم، فيُعبِّر عن بناء يحكي وجهة نظر الإسلام فيه، ويجعله رمزًا لجميع القيَم الإنسانية؛ وذلك بذكر الأنموذج الأول الممثِل للإسلام كله وللإنسانية وقيمها بأجمعها، نبيّنا محمد ﷺ، عندما حكى اختصاصه بخلقه العظيم وخاتميته للرسل والأنبياء، وتفضله عليهم بجميع المزايا والصفات الذاتية والخارجية، ولا سيما في ذريته الطاهرة وحصرها بالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وجعلها أوضح مصداقٍ لأعظَم النِعم عليه ﷺ.

---

١. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣/ ٢٣١.
٢. ظ: النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ٤٠٥.
٣. ظ: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: والزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، مجلد (٣)، حرف الراء، فصل الكاف من باب الراء.. (كثر) .. (الكوثر)، ص ٥١٧.
٤. مفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣١٣.

الكلم الطيب

- خطاب الزّهراء عليها السلام وتجلّياتُه - قراءة حجاجيّة

م.م. زهراء سالم جبار
مديرية تربية النجف الأشرف



خطاب الزّهراء عليها السلام وتجلّياتُه - قراءة حجاجيّة

م.م. زهراء سالم جبار
مديرية تربية النجف الأشرف

مثّل خطاب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بعد رحيل النبي محمد صلى الله عليه وآله نصًا احتجاجيًا عالي الكثافة الرمزية، يُعاد عن طريقه تفعيل الهوية وتشكيل الصوت ضمن سياق سلطوي متحوّل، فالخطاب لا يُقارب من منظور المطالبة بحقوق شخصية فحسب، بل يُعدّ تدخلًا خطابياً واعيًا في لحظة تاريخية تتسم بإعادة تشكيل النظام السياسي والاجتماعي، وما يصاحبها من تحوّلات في أنماط توزيع السلطة والشرعية.

وبالنظر إلى مكانة الزهراء عليها السلام بوصفها رمزاً في المجال الديني والاجتماعي، فإنّ خطابها أنتج هوية خطابية متجاوزة للهامش، وفعّل الصوت بوصفه أداة لإعادة التموقع داخل المجال التداولي السلطوي آنذاك.

النسب الطاهر:

النسب الشريف فاطمة الزهراء عليها السلام، ابنة خاتم الأنبياء أكدّته الأحاديث المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى[1]، وقد تجلّت الهويّة النسبيّة النبويّة في خطابها عليها السلام بدلالة قولها: ((أَشْهَدُ أَنّ أبي مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله عبْدُهُ وَرَسُولُهُ))[2].

وتتجلى في كلام الزهراء عليها السلام هذه الشهادة، كمرآة تمثّل هويتها العميقة ونسبها الشريف، إذ بدأت بإشهار شهادة الولاء والاعتراف بمحمد صلى الله عليه وآله، بوصفه عبداً لله (عزّ وجل) وهو تأكيد على التوحيد والرسالة التي ورثتها منها، التي تشكل محور وجودها السياسي والاجتماعي.

لقد جاءت هذه الشهادة من قبل الزّهراء عليها السلام لتعزز سلطة النبي محمد صلى الله عليه وآله من جهة، ولتأسيس رابط مباشر بين نفسها وبين الرسول صلى الله عليه وآله، عبر النسب والارتباط الروحي، ما يمنحها موقعاً متقدماً في سياق السلطة، فابنته وريثة رسالة سماوية، وموصلة للخط النبوي في السلطة والقيادة.

وإنّ عبارة (أبي محمد) تضفي بُعدًا شخصيًا ونسبيًّا على الخطاب، يؤكد التمايز والخصوصية في نسبها التي تميزها عن غيرها من الطبقات الاجتماعية والسياسية، ويمنحها حجة قوية في احتجاجها ضد منازعي حقها، لاسيما في سياق الاستيلاء على ميراثها في فدك وحقوق أهل البيت عليهم السلام.

ومن ناحية أدائية، تحمل العبارة ثقلًا عاطفيًا وشرعياً في آن واحد، إذ تنقل موقف الزهراء المفعم بالولاء، الحزن، والتمسك بحقها، ما يُبرز مزيجًا من القوة والضعف في آن واحد، وهو ما يجعل الخطاب يتخطى حدود الاحتجاج السياسي ليصل إلى عمق الهوية الروحية والاجتماعية، التي تتقاطع مع السلطة والحق، وبناءً على ذلك فإنّ هذه الشهادة هي استدعاء مباشر للنسب والهوية، التي تمنحها الشرعية التاريخية والسياسية، وتستخدمها كأداة احتجاج للرد على الظلم واستعادة الحقوق المسلوبة.

الصوت الاحتجاجي:

يتكثّف الصوت الاحتجاجي ويظهر النسق الأدائي لخطاب السيدة الزهراء عليها السلام بوصفه أداة للمواجهة السياسية والاجتماعية، وتتحقق فيه مقومات الهوية

الذاتية في تمفصلها مع النسب النبوي بوصفه مركزًا للشرعية في دلالة قولها عليها السلام: ((أيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءاً، وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً، وَلا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطاً))[٣].

إن السيّدة الزهراء عليها السلام بدأت الخطاب بنداء مباشر إلى الناس "أيها الناس"، وهو أسلوب بلاغي قرآني يُبرز المقام الرسالي، ما يعزز نبرتها السلطوية والجامعة في آن واحد، ثمّ تُصرّح باسمها (اعلموا أني فاطمة)، وفي هذا الإعلان تحميلٌ لاسمها دلالة على التمايز والمكانة، فهي لا تقدم نفسها بصفتها الشخصية فحسب، بل بصفتها رمزا لامتداد النبوة، وترسّخ هذا المعنى مباشرةً بقولها (وأبي محمد صلى الله عليه وآله)، إذ مزجت الزّهراء عليها السلام بين تعريفها الذاتي وبين نسبها النبوي، ليكون صوتها امتدادًا لصوت الرسالة، لا مجرد رأي شخصي أو موقف فردي.

ففي هذه الجملة البسيطة في ظاهرها، تشكّل بنية احتجاجية عميقة، فمَن كانت ابنة النبي، لا يُمكن تجاهل كلمتها، ولا إسقاط منزلتها، ولا مصادرة حقّها، وإذ تؤكد (أقول عودًا وبدءًا) فهي تُظهر ثبات الموقف واتساقه، سواء في بداية الحدث أم في تكراره، لتقطع الطريق على أي تأويل سياسي يُتهم فيه خطابها بالتسرّع أو ردّ الفعل، ثم تتابع (ولا أقول ما أقول غلطًا)، ولا (أفعل ما أفعل شططًا)، وهو تثبيت لأهليّتها في القول والفعل، وتأكيد على اتزانها العقلي والتشريعي، فخطابها موقفٌ محسوبٌ، مدعومٌ بالنسب، والمعرفة، والحجة.

بهذا التركيب المتماسك، تبني الزهراء عليها السلام خطابها على محورين:

الأوّل: النسب النبوي، بوصفه مصدرًا للشرعية السياسية والروحية.

والآخر: الصدق والحكمة في القول والفعل، بوصفه ضمانًا للحق الذي تنطق به، ما يجعل هذا النص لحظة تأسيس رمزية لهويتها السياسية والاجتماعية، وركيزة احتجاجية تُجابه بها البُنية السلطوية، التي أقصتها وهمّشت حقها.

١- ظ: الطوسي، الأمالي: ٢٤٨.

٢- عبد الله شبر، كشف المحجّة في شرح خطبة اللّمة: ٤٨-٤٩.

٣- المصدر نفسه: ٧٠-٧١.

أثر القرائن في توثيق الحديث

د. ضياء الدين المشعشع
الحوزة العلمية في النجف الاشرف

يعد علم الحديث من أشرف العلوم الإسلامية؛ إذ يعنى بحفظ السنّة النبوية الشريفة وتمييز صحيحها من ضعيفها، وقد بذل المحدثون جهوداً كبيرة في وضع الضوابط والقواعد على الروايات، التي تكفل الوصول إلى الحكم الصحيح، ولم يقتصر اعتمادهم في توثيق الحديث على دراسة أسانيده وأحوال رواته فحسب، بل توسعوا في الاستفادة من القرائن التي قد تحف بالحديث أو بالراوي، فتسهم في تقوية الوثوق بصدور الرواية، أو تضعف الاعتماد عليها عند فقدها أو قيام ما يعارضها.



وتكتسب القرائن أهمية خاصة في الدراسات الحديثية؛ لأنها تمثل عنصراً مساعداً في بناء الاطمئنان بصدور الحديث، ولا سيما في الموارد التي لا يُكتفى فيها بالنظر السندي المجرد للوصول إلى نتيجة حاسمة؛ من هنا اهتم علماء الإمامية، إلى جانب غيرهم من علماء المسلمين، ببيان أنواع هذه القرائن، كالقرائن المتصلة والمنفصلة، والقرائن الداخلية والخارجية، وما يرتبط بموافقة القرآن الكريم، واشتهار العمل بالرواية، وتلقي العلماء لها بالقبول، وغير ذلك من المؤشرات التي تعين الباحث على تقويم النص الحديثي.

وتسعى هذه المقالة إلى تسليط الضوء على مفهوم القرائن في علم الحديث، وبيان أثرها في توثيق الروايات، مع إبراز مكانتها في المنهج الحديثي، وبيان مدى اعتماد المحدثين عليها في ترجيح بعض الأخبار أو الحكم بوثاقتها، بما يكشف عن مرونة المنهج النقدي في التعامل مع النصوص الحديثية، ويؤكد أن عملية التوثيق تستند إلى منظومة متكاملة من الأدلة والقرائن، التي تقرب الباحث من الحكم الصحيح.

مفهوم القرائن وأنواعها:

إنّ علماء الإمامية لم يضعوا - بحسب ما اطلعت عليه من مصادر - تعريفاً اصطلاحياً مستقلاً لمصطلح "قرائن الحديث" كما فعلوا مع مصطلحات اخرى: كالصحيح، والحسن، والموثق، وغير ذلك، بل تكلموا عن القرائن المفيدة للعلم أو الوثوق بصدور الخبر، وذكروا أمثلتها وآثارها.

فقد ذكر الشيخ الطوسي قدس سره أن المتواتر يفيد العلم، وما ليس بمتواتر على ضربين فضرب منه يوجب العلم أيضاً، وهو كل خبر تقترن إليه قرينة توجب العلم، وما يجري هذا المجرى يجب أيضاً العمل به، وهو لاحق بالقسم الأول، والقرائن أشياء كثيرة منها أن تكون مطابقة لأدلة العقل ومقتضاه، ومنها أن تكون مطابقة لظاهر القرآن الكريم[1]، فهذا النص يدل على أنّ الشيخ الطوسي قدس سره يجعل القرينة أمراً يورث العلم بصدور الخبر؛ أمّا الراوندي قدس سره فيذهب أيضاً الى أنّ الأخبار المتواترة توجب العلم على الإطلاق، وكذلك إذا كانت غير متواترة، وقد اقترن بها قرينة من أحد خمسة أشياء من أدلة: العقل، والكتاب، والسنة المقطوع بها، أو إجماع المسلمين أو إجماع الطائفة، فهذه القرائن تدخل الأخبار – وإن كانت آحاداً - في باب المعلوم، فتكون ملحقة بالمتواتر[2]؛ فإن المقياس في الأخذ بمضمون الروايات ليس هو دوماً صحة السند من ضعفه،

فليس كل ما لم يثبت فيه سند صحيح، فإنّ ذلك دليل على صحة طرحه وعدم الأخذ بموجبه، فإنّه توجد في بعض الأحيان قرائن داخلية وخارجية تحيط بالرواية وتكتنفها، تستوجب الوثوق بالصدور وتشهد بصحة محتوى الحديث[٣]؛ وإليك بعض أنواع القرائن:

القرائن السنديّة: القرائن السنديّة مثل: الوثاقة ونحوها[٤]، والتعرّف على أحوال الرواة من حيث كونهم عدولاً أو غير عدول، موثقين أو غير موثقين، ممدوحين أو مذمومين، أو مهملين، أو مجهولين والاطلاع على مشايخهم وتلاميذهم وحياتهم وأعصرهم وطبقاتهم في الرواية، حتى يعرف المرسل عن المسند ويميز المشترك، إلى غير ذلك مما يتوقف عليه قبول الخبر[٥]، ومن القرائن السندية أيضاً كثرة الطرق وتعدد الأسانيد، وزيادتها، ولا إشكال في رجحانه إذ ربما تكون الرواية بواسطة ذلك من القسم المستفيض أو المحفوف بالقرائن المتاخمة للعلم، بل قد يبلغ العلم[٦].

القرائن المتنية: مثل موافقة القرآن والسنة القطعية، وهذه القرائن كلها قرائن علمية يرتبط بعضها بتصحيح مضمون الخبر، وهي مثل موافقة القرآن الكريم وموافقة السنة القطعية[٧].

القرائن الخارجية: منها مثلاً: عمل المشهور، أو الشهرة الروائية، أو وجود الحديث في الأصول المعتبرة وغير ذلك، فإنّ العِلْمَ له أسباب كثيرة، منها الخبر المحفوفُ بالقرائن وإن ضَعُفَ هذا الخبر فإنّ القرائنَ الخارجيّةَ قد توجِبُ العلمَ بمضمونه[٨].

تعد القرائن من أهم الأدوات التي يعتمد عليها المحدثون في توثيق الأحاديث وتمييز صحيحها من ضعيفها، إذ لا يقتصر الحكم على الحديث على دراسة السند المجردة، بل يمتد إلى ملاحظة القرائن المحيطة به.

أثر القرائن في توثيق الحديث:

جبر ضعف السند: مثلاً جبر ضعف السند بعمل الأصحاب، ومن المعلوم أنّ اعتماد جُلّ الأصحاب على رواية شخص - مع تفاوتهم في توثيق الرجال واختلاف مبانيهم فيه - يكشف بنحو الآن عن ظفرهم بقرينة على صدورها من المعصوم عليه السلام، وهو موجب للاطمئنان الشخصي بالصدور، والمختار في حجية الخبر الواحد هو الوثوق به الأعم من الخبري و المخبري[٩].

زيادة الاطمئنان بصدور الحديث: إذ تختلف مراتب الحديث الضعيف باختلاف الأسباب الموجبة لتضعيفه، فالذي يرويه المعروف بالفسق أو الكذب من الإمامية أسوأ حالاً من الذي يرويه مجهول الحال، والذي يرويه مجهول الحال من غيرهم أسوأ حالاً مما يرويه المجهول منهم، وهكذا كلما كانت أسباب الضعف واضحة جلية لا تقبل المراجعة، كان الخبر أبعد عن الاعتبار وأشد ضعفاً، فالذي يرويه العدل الإمامي الفقيه الورع الضابط، أصح مما يرويه العدل الإمامي الفاقد لبقية هذه الصفات، والحديث الحسن المروي بطريقين أو ثلاثة أقوى من المروي بطريق واحد وهكذا بالنسبة إلى الموثق، وربما يكون الحسن في مرتبة الصحيح، كما لو روي بطريقين أو أكثر واقترن ببعض المرجحات، ومردّ ذلك إلى قوة الاطمئنان بصحة الحديث والوثوق بصدوره عن المعصوم في أمثال هذه الموارد[١٠].

أن بعض الأحاديث حكم بصحتها اعتماداً على اجتماع القرائن، وإنْ لم يكن جميع رواتها موثقين، وقد تجتمع أحياناً القرائن الخارجية والداخلية معاً لإثبات مضمون الخبر والرواية[١١].

الاطمئنان بوثاقة الراوي: إنّ سعي المستنبط على جمع القرائن والشواهد المفيدة للاطمئنان على وثاقة الراوي أو خلافها، من أوثق الطرق وأسدّها... للتسلط على طبقات الرواة والإحاطة على خصوصيات الراوي، من حيث المشايخ والتلاميذ، وكمية رواياته من حيث القلة والكثرة، ومدى ضبطه، إلى غير ذلك من الأمور[١٢].

تكتسب القرائن أهمية خاصة في الدراسات الحديثية؛ لأنها تمثل عنصراً مساعداً في بناء الاطمئنان بصدور الحديث، ولا سيما في الموارد التي لا يُكتفى فيها بالنظر السندي المجرد للوصول الى نتيجة حاسمة

نماذج لأخذ العلماء بالقرائن:

- ومن ذلك ما عالج به السيد الخميني (رضوان الله عليه) ضعف المستند لقاعدة ضمان اليد، وهو الحديث النبوي: ((على اليد ما أخذت حتى تودي))[١٣]، إذ قال: " لعل من مجموع ذلك ومن اشتهاره بين العامة قديماً على ما يظهر من علم الهدى رحمه الله ومن اتقان متنه وفصاحته بما يورث قوة الاحتمال بأنه من كلمات رسول الله صلى الله عليه وآله لسمرة بن جندب وأشباهه، ربما يحصل الوثوق بصدوره، ولعل بناء العقلاء على مثله مع تلك الشواهد لا

يقصر عن العمل بخبر الثقة [١٤].

ويمكننا الاستشهاد أيضاً بما تعرض له بعض علمائنا لإثبات تأثير القرائن في تصحيح الخبر مع كونه مرسلاً أو ضعيفاً من ناحية السند، ومن أمثلة ذلك ما قال الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) عند ذكره لفضائل أمير المؤمنين عليه السلام وكراماته اذ قال: "ومن ذلك ما رواه أهل السير وأشتهر الخبر به في العامة والخاصة حتى نظمه الشعراء وخطب به البلغاء ورواه الفهماء من حديث الراهب بأرض كربلاء والصخرة، وشهرته يغني عن تكلف إيراد الإسناد له"[١٥]، وقال أيضاً عن خطبته عليه السلام المعروفة بـ (الشقشقية): ((فأما خطبته عليه السلام التي رواها عنه عبد الله بن عباس (رحمه الله) فهي أشهر من أن ندل عليها ونتحمل لثبوتها))[١٦].

ومما تقدم يتضح أنّ القرائن تعد من أهم الأدوات التي يعتمد عليها المحدثون في توثيق الأحاديث وتمييز صحيحها من ضعيفها، إذ لا يقتصر الحكم على الحديث على دراسة السند المجردة، بل يمتد الى ملاحظة القرائن المحيطة به، سواء أكانت داخلية تتعلق بمتنه أم خارجية ترتبط بطرق روايته وعمل العلماء به وموافقته للأصول الشرعية، ومن هنا أسهمت القرائن في تعزيز دقة المنهج الحديثي وتحقيق قدر أكبر من الاطمئنان بصحة الروايات، مما يكشف عن مرونة المنهج النقدي عند علماء الحديث وعمقه، ويبقى استثمار القرائن، على وفق الضوابط العلمية المعتبرة، ضرورة لتحقيق نتائج أكثر دقة في دراسة السنّة النبوية، وعليه يمكننا الخروج ببعض النتائج، أبرزها الآتي:

- إنّ القرائن عنصر أساسي في المنهج الحديثي.
- إنّ التوثيق لا يعتمد على السند وحده، بل على مجموع الشواهد والقرائن.
- إنّ الجمع بين دراسة السند والمتن والقرائن يحقق نتائج أقرب إلى الواقع في الحكم على الحديث.

---

١. الطوسي، الاستبصار: ١/ ٣.
٢. الراوندي، الخرائج والجرائح: ٣/ ١٠٤٠.
٣. الهاشمي، حوار حول الزهراء: ٢٨٦.
٤. المفيد، أوائل المقالات: ٣٧٨.
٥. السبحاني، كليات في علم الرجال: ١٢.
٦. الخاقاني، رجال الخاقاني: ١٠٦.
٧. الفضلي، أصول الحديث: ٨٥.
٨. الشهيد الثاني، رسائل الشهيد الثاني: ١/ ٥٧٤.
٩. المروج، منتهى الدراية: ٨/ ١٦٨.
١٠. الحسني،هاشم معروف،دراسات في الحديث والمحدثين: ٤٦-٤٧.
١١. الهاشمي، حوار مع الزهراء عليها السلام: ٣٠٦.
١٢. السبحاني، كليات في علم الرجال: ١٥٧.
١٣. الطبرسي، مستدرك الوسائل: ١٤/ ٨.
١٤. الخميني، كتاب البيع: ١/ ٣٧٦.
١٥. المفيد، الإرشاد: ١/ ٣٣٤.
١٦. المفيد، الجمل: ٦٢.

سيدة نساء أهل الجنة

فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبضعته الطاهرة، التي كان يحبها ويجلّها ويكرّمها؛ معرفة منه بمنزلتها الخاصة عند الله تعالى وما لها من شأن عظيم؛ إذ ميّزها عزّ وجلّ وكرّمها بلقب سيدة نساء أهل الجنة وسيدة نساء الأمة جميعاً.

لقد كانت عليها السلام أشبه الخلق بأبيها النبي صلى الله عليه وآله في صفاته وأخلاقه، وتصرفاته، وقد ذكرت عائشة ذلك حينما قالت: ((ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله من فاطمة، فكانت إذا دخلت عليه، قام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها))[1].

أما فيما يخص لقبها بسيدة نساء أهل الجنة فقد روى الحاكم النيسابوري بسنده عن حذيفة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ((نزل ملك من السماء فاستأذن الله أن يسلم علي لم ينزل قبلها، فبشرني أنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة))[2].

وفي رواية أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال أيضاً: ((إنّ ملكاً من السماء لم يكن زارني فاستأذن الله في زيارتي، فبشرني و أخبرني أنّ فاطمة سيدة نساء أمتي، وأنّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))[3].

وقال أيضاً صلى الله عليه وآله: ((فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وأنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من المقربين وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة، إنّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، ثم التفت إلى علي فقال: يا علي إنّ فاطمة بضعة منى وهي نور عيني وثمرة فؤادي يسوؤني ما ساءها ويسرني ما سرها، وإنّها أول من يلحقني من أهل بيتي، فأحسن إليها بعدي))[4].

---

١. علي النمازي، مستدرك سفينة البحار: ٨/ ٢٥٠.
٢. الحاكم النيسابوري، المستدرك: ٣/ ١٥١.
٣. المتقي الهندي، كنز العمال: ١٢/ ١١٨.
٤. الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ١٤٩ – ١٥٠.

حتى يتفقهوا

■ صلاحيَّة شريعة الإسلام للتطبيق في كل زمكان

الباحث: صلاح عبد المهدي الحلو
النجف الأشرف



صلاحيَّة شريعة الإسلام للتطبيق في كل زمكان

الباحث: صلاح عبد المهدي الحلو
النجف الأشرف

قد يسأل سائلٌ: هل شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كلّ زمانٍ ومكانٍ؟ وإذا كان الجواب: نعم، هل يجب أنْ تُطبَّق كاملةً أم بحسب الظروف؟ هذا السؤال فيه شقّان، الأول منهما: هل الإسلام صالحٌ للتطبيق في كلّ زمانٍ ومكان؟ والآخر: وعلى تقدير الجواب بـ "نعم" فهل تطبَّق الشريعة كاملةً كما أرادها الله، أم بعضًا منها كما حكمت الظروف؟



جواب السؤال الأوّل:

حينما نتأمّل بعيون بصيرتنا في قوانين هذا الكون الصارمة والدقيقة، نعلم جيدًا أنَّه يجري على وفق نظامٍ ودقَّةٍ عاليين، يكونان مرآةً تنعكس عنهما أنوار حكمته تعالى.

فهذا الخالق العظيم الذي وضع قوانين الكون من الجاذبيَّة التي ترفع السماوات بلا عمد، وزيَّنها بالنّجوم تضيء كالمصابيح، وتومض كالقناديل، والذي خلق الشمس تجري لُمستقرٍ لها، والذي بسط المهاد، ودحا الأرض ووتَّدها بالجبال، هذا الخالق الذي وضع هذه القوانين الكونيَّة الدقيقة، هو نفسه من وضع القوانين التشريعيَّة الصارمة التي نستطيع القياس من خلال حكمته الدقيقة في خلق الكون، دقَّة حكمته في وضع التشريع.

أبعاد القوانين التشريعيَّة

وميزة هذه القوانين التشريعيَّة أنَّ لها ثلاثة أبعاد:

البعد الأول: تنظيم العلاقة بين الله تعالى وعباده، وكان من جملة ذلك تشريع العبادات.

البعد الثاني: تنظيم العلاقة بين الإنسان ومحيطه الاجتماعيّ والطبيعيّ، فمن الأول تنظيم المعاملات بينه وبين بني جنسه، فشرع حرمة الظلم، وحبَّب التكافل، وزيّن التعاون على البرّ والتقوى، وكرَّه التنابز بالألقاب، وأن يغتب بعض النّاس بعضا، كلُّ أولئك في سبيل صلاح المجتمع، واستقراره.

ومن الثاني: تنظيم العلاقة بينه وبين الطبيعة، فحثَّ على عمارة الأرض، وغرس الأشجار، وشقّ القنوات، والحفاظ على الخيرات، والثروات ونحو ذلك.

البعد الثالث: تنظيم العلاقة بينه وبين نفسه، فمن حيث النفس فإنّه حرَّم إذلالها وانتحارها، ومن حيث الجسد فإنّه حرَّم التمثيل به وبيع بعض أعضائه كاليد والعين.

الشريعة ليست بمعزلٍ عن الحياة

وللشريعة ميزةٌ أخرى تفترق عن باقي الشرائع، وهي أنَّها تتدخَّل في توجيه الإنسان وتنظيم سلوكه في أدقّ تفاصيل حياته، وأشدّ خصوصيَّاته، وأضرب لك مثلين:

الأول: في الخلوة حين يُريد قضاء الحاجة، فقد جعلت له آدابًا وسُننًا، من السِتْر والذِّكْر، واتقاء مساقط الثمار، والتنزّه عن شواطئ الأنهار، وتجنّب أفنية المساجد، وتحاشي قارعة الطريق.

الثاني: في الفراش حين يختلي الزوجان، أيضًا جعلت لهما آدابًا يحتذيان بها، وسننًا لا يحيدان عنها، فكرّه لهما الجماع عند كسوف الشمس، والمقاربة حين خسوف القمر، وعند هبوب الريح الحمراء، ووثوب الريح الصفراء، وفي أول ليلة الشهر وأوسطه وآخره، وحبّب التسميّة قبله، والاستعاذة بعدها.

والذي غطّى أخصّ الخصوصيات يغطي العموميّات أيضًا، فللإسلام في الاقتصاد

> **الإسلام – من حيث المبدأ – صالحٌ للتطبيق في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، ولكن لا بُدَّ من أنْ يكون التطبيق بيد القيّم على الإسلام، ومن ذلك المعصوم عليه السلام، ومن جعله نائبًا عنه كالفقهاء الجامعين للشرائط.**

رأيٌّ، وفي السياسة رأيٌّ، وفي كلّ مناحي الحياة رأي، حتى اشتهر على لسان الفقهاء قاعدةٌ اقتنصوها من أحاديث الأئمّة عليهم السلام ((ما مِنْ شيءٍ إلَّا وفيه كتابٌ أو سنَّةٌ))[1] فقالوا: (إنَّ لله في كلِّ واقعةٍ حكمًا).

عين الرقابة الغيبيَّة

وللإسلام رقابته التي تختلف جذريًّا عن المراقبات الوضعيَّة الأخرى، فالموظف الملتزم مثلًا لا يخشى الكاميرا المعلَّقة في غرفة عمله، ولا سجلَّ الانصراف والحضور، ولا جهاز البصمة؛ لأنَّه يراقب عين الله تعالى في حضوره وانصرافه وتأدية عمله، فسيَّان عمله في حضور المراقب وغيابه، وفي عمل الكاميرا وعطلها؛ لأنَّ مديره في العمل هو الله تعالى وليس صاحب العمل، ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ**

﴿تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٠٥]، فتجده شديد الالتزام، عظيم المواظبة، بخلاف من لا يلتزم فبمجرد سنوح الفرصة يترك عمله، ويتقاعس في أداء واجبه.

والإنسان المتديّن لا يمدُّ يده إلى البضاعة الحرام في المحلّ، ولا إلى الأموال الحرام في الخزينة، يوم تسقط الأنظمة، وتنقلب الأوضاع؛ لأنَّه يخشى الله تعالى في السّلم والحرب، وفي اضطراب الأحوال واستقرارها، بخلاف من لا يؤمن بالشريعة الإسلاميَّة، ويتقيّد بالقوانين الوضعيَّة، بمجرّد أنْ لا يكون للرقابة القانونيّة دور، فهو السارق، والخائن، والمجرم.

شروط واضع القانون: النزاهة، والعلم

وواضع القوانين مهما كان نزيهًا فلا بُدَّ أنْ يضع القوانين – ولو من ناحيةٍ لا شعوريَّةٍ – بما يحفظ مصالحه، فكلُّ فئةٍ تشرع القوانين لتأمين منافعها، وحفظ مصالحها، بينما الله تعالى ليست له مصالح تعود عليه بالنفع ليكتب تشريعاته وفقهه، نعم، هو سبحانه يكتبها لمصالح العباد، فيعود النفع بها عليهم جميعًا، لا يختلف في ذلك عربيٌّ وأعجميٌّ، ولا يتخلّف عن نفعها أبيض عن أسود.

ولو فُرض أنَّ واضع القوانين البشريَّة

> اشتهر على لسان الفقهاء قاعدةٌ اقتنصوها من أحاديث الأئمّة عليهم السلام ((ما مِنْ شيءٍ إلَّا وفيه كتابٌ أو سنَّةٌ)) فقالوا: (إنَّ لله في كلِّ واقعةٍ حكمًا).

مجموعةٌ في منتهى النزاهة، وفئةً في غاية الأمانة ولكن؛ لقصور العقل البشريّ عن معرفة المصالح بحسب الواقع، والملاكات في نفس الأمر لا يصحُّ لها أنْ تكتب قانونًا، وتشرّع أحكامًا؛ لأنَّها غير محيطةٍ بأسرار المجتمع تمام إحاطة، ولا خبيرة بشؤونه أحسن ما يكون.

إذن، خلاصة البحث، وزبدة القول ولبابه، أنَّ من يصلح لكتابة القانون: من لا مصلحة له يراعيها يوم تشريعه، وعلمه فوق الزمان والمكان ساعة رسمه، وهو الله (عزَّ وجلَّ) لا غير، وهو تعالى شرع الإسلام منهجًا للإنسان، وطريقًا له، وهذه الشريعة أحرى من غيرها بالتطبيق، وأجدر من سواها بالالتزام.

إذا تبيَّن جواب السؤال الأول ممّا مضى، فتعال إلى جواب السؤال الثاني ممّا يأتي: هل الإسلام صالحٌ للتطبيق كلًّا أم بعضًا؟

الجواب:

الإسلام – من حيث المبدأ – صالحٌ

للتطبيق في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، ولكن لا بُدَّ من أنْ يكون التطبيق بيد القيّم على الإسلام، ومن ذلك المعصوم عليه السلام، ومن جعله نائبًا عنه كالفقهاء الجامعين للشرائط.

فقد يكون الظرف مؤاتيًا لتطبيقه، مساعدًا على الأخذ به، ولكن من يسعى في هذا الأمر غير فقيهٍ بأحكامه، أو مخلصٍ في خدمته، وذلك كما حصل بعد شهادة النبيّ صلى الله عليه وآله، فقد كانت نار الإيمان تتلظّى في قلوب أولي التقوى، و أنفاس العبادة تتصعّد في جوانح ذوي الإيمان، وصوت النبي صلى الله عليه وآله يتردّد في المسامع، وصورته تتشكّل في العيون، ومن أنفاسه في الجوّ عبير، ومن صوته في المساجد صدى، وأرواح الناس مشرئبةٌ إلى تلك التعاليم، وقلوبهم تهفُّ إلى هذه التشريعات، ولكن جاء من لا يعرف الفاكهة من الأبِّ، وأحكام الكلالة، وموارد التيمم، ممّن ألهاه الصفق في الأسواق عن التفقّه في الدين، فحرّف أحكامه عن أصولها مع وضوحها، فأتى بأحكامٍ ما له بها من علم، ولا نزل عليه بها من رسول.

حتى عاد الظرف لتطبيقها غير مواتٍ، والقائم عليها غير فقيه، وقد لا يكون الظرف صالحًا لعمليَّة التطبيق، فيؤخذ ببعض أحكامه التي يتحمّلها الظرف، ويترك الباقي إلى يوم المساعدة عليه، مثل حدّ السارق، ورجم الزاني، فاليوم لا تساعد الظروف على تطبيق الحدود لأمورٍ لا تخفى على القارئ اللبيب.

وقد يأتي اليوم الذي يكون فيه الظرف مؤاتيًا لتطبيقه كلّه في البلاد كلّها، مع وجود القائم عليه، كما عند قيام القائم عليه السلام إن شاء الله، الذي يملأها قسطًا وعدلًا بعدما ملئت ظلمًا وجورًا، هنالك تشرق شمس السعادة على أفق البشريَّة، وينعم المؤمنون في جنّات الحكم الإلهيّ السديد، ويعرف الناس يومئذٍ الفرق بين أحكام الله تعالى، والقوانين التي يشرّعها البشر، فهو مثل الفرق بين قرنيّة العين وعدسة الكاميرا، وصيوان الأذن ولاقط السماعة، لا قياس بينهما أبدًا، ولا مقارنة بينهما أبدًا.

١- الكليني، الكافي: ١/ ٥٩.



استفتاءات فقهية

(دام ظله الوارف)

وفق رأي المرجع الأعلى سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني

(الجعـــالة)

الجعالة هي: الالتزام بعوض معلوم – ولو في الجملة – على عمل كذلك.
وهي من الإيقاعات، ولا بُدَّ فيها من الإيجاب إمّا عامّاً مثل: (من ردّ دابّتي أو بنى جداري فله كذا)، أو خاصّاً مثل: (إن خطت ثوبي فلك كذا)، ولا يحتاج إلى القبول لأنّها ليست معاملة بين طرفين حتّى يحتاج إلى قبول، بخلاف العقود كالمضاربة والمزارعة والمساقاة ونحوها.

السؤال: يحصل اتّفاق بين صاحب محل بيع الأخشاب أو غيرها مع إنسان آخر على أنّه إذا جاء بشخص إلى المحل لشراء المواد فإنّ صاحب المحل يعطيه مبلغاً حسبما يعتقده هو، فهل يحلّ له أخذ هذا المبلغ؟ وهل يدخل بعنوان الجعالة أو الأجرة؟
الجواب: يمكن تصحيح ذلك بعنوان الجعالة إذا لم يكن المبلغ مجهولاً تماماً، وإلّا لم يصحّ حتّى بهذا العنوان.

السؤال: شخص يريد شراء بضاعة فيستعين بشخص آخر لشرائها، فيذهب الثاني مع الأوّل إلى ثالث وقد اتّفق معه الثاني سلفاً على أن يضيف للثاني عمولة على السعر الأساسي الذي يبيع به الثالث بضاعته فيما لو أتاه الأوّل منفرداً أو غيره، فيتمّ البيع والشراء، فما حكم عمل كلّ من الثاني والثالث؟ وما حكم العمولة التي أضافها الثالث للثاني؟

الجواب: إذا كان الثالث قد عيّن جعلاً للثاني ــ أي: الوسيط ــ فيما لو أحضر له مشترياً ففعل ذلك استحقّ عليه الجعل، بغضّ النظر عن الثمن الذي ينفق عليه الطرفان الأوّل والثالث.

السؤال: أنا صاحب محل تجاري لبيع الأدوات الاحتياطيّة الكهربائيّة وغيرها، ويأتي شخص ويطلب منّي بيع حاجة تعود له ويحدّد لها ثمناً ما بحسب رغبته، ثمّ نبيعها بسعر أعلى ممّا حدّده الشخص، فهل يجب عليّ إخباره بثمن البيع وإعطاؤه إيّاه أم لا، مع أنّه راض بالثمن الذي حدّده من غير اعتراض؟

الجواب: في مفروض السؤال يجب عليك دفع تمام الثمن لصاحب البضاعة، نعم لو عيّن سعراً معيّناً وجعل الزائد عليه جعلاً لك إزاء قيامك ببيع البضاعة صحّ وتكون الزيادة حينئذٍ لك.

السؤال: تاجر جملة يعرض بضاعته على تجّار المفرد بأسلوب النسبة ــ أي: تكون له نسبة من الأرباح تحدّد حسب كميّة البيع ــ فهل تكون المعاملة صحيحة في حالة تغيّر الأسعار؟ وإذا كانت باطلة فما حكم ما جرى منها لحدّ الآن؟

الجواب: إذا كان مرجع ذلك إلى الجعالة ــ أي: يجعل لبائع المفرد نسبة محدّدة من الربح ــ فلا ضير في ذلك، فيستحقّ بتلك النسبة وإن تغيّرت الأسعار، إلّا إذا كان بينهما شرط يقتضي تغيّر النسبة بتغيّر السعر.

السؤال: هل يجوز أخذ مقدار من المال على إجراء صيغة النكاح؟ وتحت أيّ العقود الشرعية يدخل؟

الجواب: يجوز، ويمكن تخريجه من باب الإجارة والجعالة ونحوهما.

السؤال: مؤسسة خيريّة تمنح قروضاً بفائدة قليلة تصرف على العاملين في المؤسسة، ولا يستحصل المساهمون في رأس مال المؤسسة على شيء من الربح، فهل هناك طريق لتصحيح الاقتراض منها دون الوقوع في الربا؟

الجواب: يمكن ذلك بأن يقرّر المتقدّم بطلب القرض جعلاً للعاملين في المؤسسة بإزاء قيامهم باستحصال موافقة المساهمين في رأس مالها على طلب القرض، وهذا الجعل يمكن أن يكون بمقدار الفائدة المنظورة.

مع الحق

■ انحصار النجاة في فرقة واحدة

الشيخ محمد رضا الشيخ محمد آل حيدر
الحوزة العلمية في النجف الأشرف



انحصار النجاة في فرقة واحدة

الشيخ محمد رضا الشيخ محمد آل حيدر
الحوزة العلمية في النجف الأشرف

من أهم ما يحدده الإنسان السوي الملتفت الى واجباته العقلية اختيار طريق معين ليسلكه في تفاصيل حياته، فالأنسان أول ما يعتقد به بعقله المجرد –أو بتدخل رسالي– وجود خالق ومدبر لهذا العالم، وهذا الخالق حكيم متزن؛ لأن العقل يحكم بداهةً أن كل صُنع لا بد له من صانع، وكل موجود بعد أن لم يكن لا بد له من مُوجد، والكون موجود، فلا بد له من مُوجد حكيم.

وهذا الخالق لا يمكن أن يخلق البشر عبثاً، ويتركهم بلا غاية، وبما أنّ الإنسان مُخيّر ومكلّف، فإنّ العقل يحكم بضرورة وجود جزاء عادل (ثواب للمحسن وعقاب للمسيء)؛ ليتحقق التوازن وتستقيم الحياة.

فالعقل يحكم بوجوب وجود ثواب وعقاب، وهذا الثواب والعقاب ناشئ عن طريقة العمل والتعامل في التفاصيل الحياتية، والمعتقدات الإيمانية، وإلا فعلى ماذا يثاب ويعاقب؟

وهذه التفاصيل والمعتقدات لا بد أن تسلك طريقًا معيّنًا ضمن منظومة متكاملة، ويحكم على هذه الأعمال بحسب تلك المنظومة بالصحة أو الفساد، فتؤدي إلى الثواب أو العقاب.

وفي الواقع العملي، وما ورد في السنن التأريخية، من وجود طرقٍ عدة ومناهج متباينة، يجد الإنسان نفسه إزاء خيارات متعددة، لا يمكنه التسليم بصحتها جميعاً؛ لأنّ كثيراً منها متناقض في أصوله ونتائجه؛ وحينئذٍ يحكم العقل بضرورة البحث والمقارنة والتمييز بين هذه الطرق للوصول إلى الطريق الحق.

وبما يحكم به العقل، فلا بد أن يكون أحد هذه الطرق هو المسلك الصحيح المطابق للواقع، إذ لا يمكن أن تكون الطرق المتناقضة جميعها حقاً في وقت واحد، فالمعتقدات والأعمال إنما تتصف بالصحة أو الفساد، وبالمطابقة للواقع أو مخالفته، ولا واسطة بين النقيضين، فلو اعتقدت فرقة بأمرٍ وأثبتته، واعتقدت أخرى بنقيضه ونفته، استحال أن يكون القولان صحيحين معاً.

ولضعف القدرة الإنسانية، ووسع الرحمة الربانية اختار لنا الله (عز وجل) الطريق الصحيح، والمسلك الحق وبيّنه الله تعالى لنا، ومما ورد أيضًا في السنن التاريخية الوجود الدائم لطرق عدة تنشق من الطريق الصحيح، فتشرق غربًا وتغرب شرقًا، فيجب على الإنسان أن يميز الغث من السليم، والمسلك الأصيل المرسل من الله تعالى عن المنشق، قال أبو عبد الله عليه السلام: ((ما أحد أحب إليّ منكم، إن الناس سلكوا سبلًا شتى، منهم من أخذ بهواه، ومنهم من أخذ برأيه، وإنكم أخذتم بأمر له أصل))[1].

وبعد هذا التمييز يجب أن يختار أحد تلك الطريق، وبالحكم العقلي أيضًا اختياره لطريق معين يوجب تركه لباقي الطرق والمسالك، كما وضّحنا من الصحة والفساد.

وعلى هذا ورد عن النبي حديث الافتراق أو ما يسمى بحديث الفرقة الناجية، الذي أشار به إلى انقسام الطرق والمسالك

إلى فرق، وفرقة واحدة هي الناجية، وهي التي تتبع المسلك الأصيل، لا ما انشق منه وانقسم عنه، وأنّ تلك الفرقة التي اتّبعت المسلك الحق هي الفرقة الناجية، فقال صلى الله عليه وآله: ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، سبعون فرقة في النار وفرقة واحدة في الجنة وهي التي اتبعت وصيه، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون فرقة في النار وفرقة واحدة في الجنة وهي التي اتبعت وصيه، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي التي اتبعت وصيي))[٢].

ولأنّ الإنسان في جميع أحواله يحتاج إلى أن يُبين له الصحيح من أعماله من فاسدها، ولا يكفي لديه التحكيم العقلي دائمًا، لضعفه وقلة إدراكه، وكما ورد من الإمام علي بن الحسين عليه السلام: ((إنّ دين (الله عز وجل) لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقائيس الفاسدة، ولا يصاب إلا بالتسليم، فمن سلم لنا سلم، ومن اقتدى بنا هدى، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه شيئا مما نقوله أو نقضي به حرجا كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم))[٣].

فكيف يتبع الإنسان الفرقة القائل إمامها: ((ومن وجد في نفسه شيئا مما نقوله أو نقضي به حرجًا كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم))[٤] ويتبع فرقة أخرى إمامها يخالف هذا الإمام؟

مصادر حديث الفرقة

وحديث الفرقة هذا من المتواتر المعنوي فقوله صلى الله عليه وآله: ((ستفترق أمّتي)) معروف عند الفريقين ونقلاه في جوامعهم الروائيّة وإليك النظر إلى بعض ما نقلهم:

أخرج أبو داود، بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهَّ صلى الله عليه وآله: ((افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة))[٥] ، أخرجه أيضًا الترمذي في باب ما جاء في افتراق هذه الأمّة[٦].

أيضًا أخرج أبو داود بإسناده عن معاوية بن أبي سفيان، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ((ألا إنّ من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملّة، وإن هذه الملّة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنّة، وهي الجماعة))[٧].

وأخرج الترمذي بإسناده عن عبد اللهَّ بن عمر (عبد اللهَّ بن عمرو)، عن النبي صلّى اللهَّ عليه وآله قال:((ليأتيّن على أمّتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل (إلى أن قال): وستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين ملّة، كلّها في النّار إلّا ملّة واحدة، قالوا: من هي يا رسول اللهَّ، قال: ما أنا عليه وأصحابي، (فقيل له: ما الواحدة، قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي))[٨].

وأخرجه أيضًا الهندي في كنز العمّال[٩].

أخرجه أيضًا الحاكم في المستدرك،

بإسناده عن عوف بن مالك، قال: قال رسول اللهَّ صلى الله عليه وآله: ((ستفترق أمّتي على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فرقة قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحرّمون الحلال ويحلّلون الحرام))[10].

ورواه الصدوق بإسناده عن عبد اللهَّ بن عمر عن رسول اللهَّ صلى الله عليه وآله قال: ((ما نحن عليه اليوم أنا وأصحابي))[11].

روى المجلسي في بحار الأنوار بإسناده عن الكراجكي في كنز الفوائد، عن رسول اللهَّ صلَّى اللهَّ عليه وآله قال: ((ستفترق أمّتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمّتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحرّمون الحلال ويحلّلون الحرام))[12].

وروي الصدوق بإسناده عن محمّد بن مسلم وأبي بصير عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال في حديث طويل: ((افترقت بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنّة))[13].

وروى سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة سبعون منها في النار وواحدة في الجنة، وهي الَّتي اتبعت يوشع بن نون وصي موسى، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، إحدى وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنّة وهي الَّتي اتبعت شمعون وصيّ عيسى، وتفرقت هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنّة، وهي الَّتي اتبعت وصي

يجب على الإنسان أن يميز الغث من السليم، والمسلك الأصيل المرسل من الله تعالى عن المنشق، قال أبو عبد الله عليه السلام: ((ما أحد أحب إليّ منكم، إنّ الناس سلكوا سبلًا شتى، منهم من أخذ بهواه، ومنهم من أخذ برأيه، وإنكم أخذتم بأمر له أصل))

محمّد صلى الله عليه وآله وضرب بيده على صدره))[14].

وروى الكليني قريبا منه في الروضة بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام[15].

وأيضًا روى المجلسي في بحار الأنوار عن كنز الفوائد للكراجكي قال: روى الجمهور عن أبي نعيم وابن مردويه بإسنادهما عن زاذان عن علي عليه السلام قال: ((تفترق هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهم الَّذين قال اللهَّ عزّ وجلّ: ﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨١] وهم أنا وشيعتي))[16].

روى البحراني عن موفّق بن أحمد، بإسناده عن أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه، وقال: أخبرنا أحمد بن محمّد السري قال: حدثنا المنذر بن محمّد بن المنذر، قال: حدّثني عمّي، عن الحسين بن سعيد، قال حدثني أبي، عن أبان بن تغلب، عن فضل، عن عبد الملك الهمداني، عن زادان عن علي عليه السّلام، مثله[17].

روى أبو نعيم عن أبي الطفيل، عن علي عليه السلام

قال: ((تفرّق هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة، شرّها فرقة تنتحل حبّنا وتفارق أمرنا))[١٨].

ولا مجال لما قاله بعضهم: إنّ المراد بالأمّة في هذا الحديث أمّة الدعوة لا أمّة الإجابة، يعني: أن الأمّة التي دعاها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته هي المفترقة إلى تلك الفرق، وأنّ أمّة الإجابة هي الفرقة الناجية، يريد بها من آمن بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله.

وينقضه أنّ الحديث نصّ على أنّ الأمّة ستفترق، وهذا يعني أنّه حديث عن المستقبل، وهذا لا يتلاءم مع كون المراد أمة الدعوة، فهي مفترقة في زمنه صلى الله عليه وآله، أضف إلى ذلك مقارنتهم باليهود والنصارى، في قوله صلى الله عليه وآله: ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة))، ومعلوم أن اليهود والنصارى هم من أمّة الدعوة، فلم يبقَ إلا أن المقصود أمّة الإجابة فقط.

من هي الفرقة الناجية ؟

وبعد ما بيناه يُعرض هذا السؤال، وهو من أهم الأسئلة التي تواجه من ينتسب إلى الإسلام؛ لأنّ حديث الفرقة الناجية ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله لدى العامة والخاصة، وأنه صلى الله عليه وآله حصر النجاة لفرقة واحدة من سائر الفرق المنتسبة إلى الإسلام، ولكن ليس من العقل أن لا يبيّن الرسول مَن هي الفرقة الناجية، ويترك أمته من غير أن يقيم عليهم الحجة، وينصب لهم ما ينجيهم من النار والهلاك، كي يتمسك به المؤمنون.

وبمطالعة النصوص النبوية، نجد أنّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله نصّ صريحًا بأنّ سبيل النجاة منحصرة بما يتركه لنا من ثِقلين، هما: القرآن والعترة، المتمثلة بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام حصرًا من دون سواهم؛ لأنهم المطهرون من كل دنس، والعالمون الذين ورثوا علم رسول الله صلى الله عليه وآله، وحكمته وحلمه، وهم الوحيدون الذين يؤتمنون على أمور الدين والدنيا.

---

١. الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٢٧/ ٥٠.
٢. الحديث مشهور، ورواه العشرات من الخاصة والعامة، ظ: السيد حيدر- الآملي، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: ٣/ ١٠٤.
٣. المحدّث النوري، مستدرك الوسائل: ١٧/ ٢٦٢.
٤. المصدر نفسه.
٥. أبو داود، سنن أبي داود: ٤/ ١٩٧.
٦. الترمذي، سنن الترمذي: ٥/ ٢٥.
٧. أبو داود، سنن أبي داود: ٤/ ١٩٨.
٨. الترمذي، سنن الترمذي: ٥/ ٢٥.
٩. المتقي الهندي، كنز العمال: ١/ ١٨٢.
١٠. الحاكم النيسابوري، مستدرك الصحيحين: ٤/ ٤٣٠.
١١. الصدوق، معاني الأخبار: ٣٢٣.
١٢. المجلسي، بحار الأنوار: ٢/ ٣١٢.
١٣. الصدوق، الخصال: ٦٣٦.
١٤. سليم بن قيس، كتاب سليم: ١٧٥.
١٥. الكليني، الكافي: ٨/ ٢٢٤.
١٦. المجلسي، بحار الأنوار: ٢٤/ ١٤٦.
١٧. البحراني، البرهان في تفسير القرآن: ٢/ ٥٣.
١٨. أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٥/ ٨.



تَشنّتْ ولي في المجد

الشاعر بدر الدريع /الكويت

* تمَّت القصيدة في تاريخ ١٥/ ٢/ ٢٠٢٥م، وكنتُ كَتَبْتُ مقدِّمتها في سنة ٢٠١٨، ثم انشغلت بعدها بكتابة عدَّة قصائد، ثم عكفت على إتمامها بعد شهر محرَّم من عام ٢٠٢٤.

* بتصرف

تَثَنَّتْ وَلِي فِي المَجْدِ عَنْ حُسْنِهَا شُغْلُ ... فَصَدَّتْ وَبَعْضُ الصَّدِّ غَايَتُهُ الوَصْلُ

رَأَتْ جَفْوَةً مِنِّي وَلَمْ يُرَ قَبْلَهَا ... مُشَفِّعُ حُسْنٍ لَا يُجَابُ لَهُ سُؤْلُ[1]

وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أُلَامُ عَلَى الجَفَا ... وَكَمْ لِيمَ أَهْلُ العِشْقِ فِي الوَصْلِ مِنْ قَبْلُ

يَقُولُونَ لِي: هَلَّا تَرَفَّقْتَ بِالصِّبَا ... أَمَا نَالَ مِنْكَ الحُسْنُ والدَّمْعُ مُنْهَلُّ

وَمَا هَانَ عِنْدِي الدَّمْعُ مِنْهَا وَإِنَّنِي ... لَبِالْمُلْكِ تُفْدَى عِنْدِيَ الأَعْيُنُ النُّجْلُ[2]

وَلَكِنَّنِي المُشْتَاقُ إِذْ نَاجَزَ العِدَا ... وَلَمَّا يَجِنْ مِنْ نَجْمِ سَعْدِهِمُ أَفْلُ[3]

وَلَوْ كَانَ مَا أَرْجُوهُ غُنْمًا مُعَجَّلًا ... لَهَانَ لَدَيْهَا المُرُّ إِنْ هُوَ لَمْ يَحْلُ

وَلَكِنَّنِي أَرْجُو مِنَ الدَّهْرِ غَايَةً ... لِغَيْرِيَ مِنْ جَنْيِ الثِّمَارِ بِهَا الأُكْلُ

فَوَا غُرْبَةَ السَّاعِي إِلَى المَجْدِ فِي الهَوَى ... وَيَا شَقْوَةَ الحَسْنَاءِ إِنْ عَظُمَ الخِلُّ

وَيَا لِلمَعَالِي إِنْ تَصَدَّى لِثَأْرِهَا ... مُفَلَّلُ حَدٍّ لَيْسَ يُسْعِفُهُ الصَّقْلُ[4]

يُحَاوِلُ فِي الدُّنْيَا مِنَ العَدْلِ دَوْلَةً ... وَتِلْكَ بِلَادٌ صُلِّبَتْ دُونَهَا الرُّسْلُ

فَمُذْ لَقَّحَ الكُتْبَ اليَرَاعُ ارْتِقَابُهَا[5] ... وَلِلآنَ لَمْ تُولَدْ وَلَا أُسْقِطَ الحَمْلُ

بَلَى عُمْرُهَا بِالفِكْرِ قَدْ طَالَ إِنَّمَا ... كَجِسْمٍ يُرَى يَنْمُو بِمَنْ عَقْلُهُ طِفْلُ

إِذَا اسْتَيْأَسَتْ عَيْنَايَ مِنْهَا تَطَلَّعَتْ ... إِلَى رَايَةٍ رَعْدُ السَّمَاءِ لَهَا طَبْلُ

إِلَى قَائِمٍ يَبْرِي الأَسِنَّةَ بِالكُلَى ... وَيُخْصَفُ مِنْ خَدِّ الطُّغَاةِ لَهُ نَعْلُ[6]

---

(١) مُشَفِّعُ حُسْنٍ: من شفيعُه حُسْنُه.

(٢) النُّجْلُ: جمع النجلاء؛ وهي العين الواسعة.

(٣) ناجَزَ: نازل وقاتل. أَفْلُ: من أفول النجم؛ أي غيابه.

(٤) مُفَلَّلُ حَدٍّ: السيف مُتَثَلِّمُ الحدِّ لا يقطع.

(٥) أي: فارتقابُ تلك الدولةِ بَدَأَ مُذْ لَقَّحَ اليَرَاعُ الكُتْبَ، واليَرَاعُ: القلم.

إِمَـــامٌ هُـــوَ الهَـــادِي لِسُـــنَّةِ أَحْمَـــدٍ وَآبَـــاؤُهُ بَعْـــدَ الكِتَـــابِ هُـــمُ الثِّقْـــلُ
تَبَـــدَّى وَلَمْ تُكْحَـــلْ بِمَـــرْآهُ أَعْـــيُنٌ وَغَـــابَ وَلَّـــا يَخْـــلُ مِـــنْ عُرْفِـــهِ ظِـــلُّ[٧]
إِمَـــامٌ أَغُـــضُّ الطَّـــرْفَ إِمَّـــا ذَكَرْتُـــهُ فَتُـــبْرِقُ آمَـــالِي وَيَعْشَوْشِـــبُ المَحْـــلُ[٨]
تُعَـــيِّرُنِي بِـــالوَهْمِ فِيـــهِ مَعَـــاشِرٌ بِنِسْـــبِيَّةِ الأَخْـــلَاقِ ذَلَّـــتْ لَهَـــا السُّـــبْلُ
وَإِنِّي لَبِالأَوْهَـــامِ مَـــنْ بَـــاعَ وَاقِعًـــا إِذَا كَانَـــتِ الأَوْهَـــامُ يُشْـــرَى بِهَـــا النُّبْـــلُ
فَيَـــا أَيُّهَـــا اللَّاحِـــي عَـــلَيَّ بِـــمَا اقْتَضَـــتْ تَجَارِبُـــهُ وَالعَقْـــلُ مِثْـــلُ اسْـــمِهِ عَقْـــلُ[٩]
هُوَيْنَـــكَ إِنْ شَـــطَّ الخَيَـــالُ بِحَـــالِمٍ فَلَـــوْلَا خَيَـــالُ المَـــرْءِ فِي الجَـــوِّ لَمْ يَعْـــلُ[١٠]
وَذَرْنِي أُمَنِّـــي الـــنَّفْسَ إِنِّي وَجَـــدْتُهَا بِأَهْـــلِ زَمَـــانٍ مَـــاتَ بَيْـــنَهُمُ الفَضْـــلُ
فَإِمَّـــا أَمَـــانٍ تَشْـــحَذُ الـــنَّفْسَ لِلعُـــلَا وَإِمَّـــا لِأَهْـــلِ الطَّـــفِّ مِـــنْ مَـــدْمَعِي وَبْـــلُ
أُولَئِـــكَ أَهْـــلُ الفَضْـــلِ وَالطُّهْـــرِ وَالتُّقَـــى وَأَهْـــلُ الحِفَـــاظِ المُـــرِّ فِي البَـــأْسِ إِنْ تَبَـــلُ[١١]
أَطَايِـــبُ لَمْ يُثْمِـــرْ خَبِيثًـــا نَبَـــاتُهُمْ وَلَا دَنَّسُـــوا ثَوْبًـــا وَلَا عِرْضُـــهُمْ وَحْـــلُ
أَبَـــوْا صَـــفْقَةَ الـــدُّنْيَا فَسَـــالَتْ نُفُوسُـــهُمْ كَـــمَا يَشْـــتَهِي الإِقْـــدَامُ وَالصَّـــوْنُ وَالبَـــذْلُ
فَـــإِنْ تَـــرَنِي أَهْجُـــو عِـــدَاهُمْ فَـــلَا تَئِـــبْ عَـــلَيَّ كَـــذِي رِجْـــلٍ تَحَسَّســـهَا صِـــلُّ[١٢]
فَـــإِنِّي لَلمَوْتُـــورُ مِـــنْ قَبْـــلِ مَوْلِـــدِي وَإِنِّي بَكَـــى مِـــنْ قَبْـــلِ مَصْـــرَعِيَ الأَهْـــلُ[١٣]

(٦) الكُلى: جمع كلية. يُخصَف: من خَصَف النعلَ: أي خرزها وخاطها.

(٧) العُرْفُ: المَعروفُ.

(٨) يَعْشَوْشِبُ: نَبَتَ عُشْبُهُ وكَثُرَ. المَحْلُ: الأرض المُجْدِبَة الخالية من النَّبْت.

(٩) اللّاحي: اللائم. عَقْلُ: مِنْ عَقَلَ الناقةَ؛ أي قيَّدها وحَبَسَها.

(١٠) هوينك: ترفَّق. شَطَّ: بَعُدَ.

(١١) الحِفاظ: الذَّبُّ عن المَحارِمِ والمَنْعُ في الحروب تَبْلُو: تَخْتَبِر.

(١٢) الصِّلُّ: الحيَّة التي لا تنفع معها الرُّقْيَة.

وَلَا تَعْـذِلَنْ مَـدْحِي إِذَا مَـا قَصَـرْتُهُ ... عَلَـيْهِمْ فَـإِنَّ الـرَّوْضَ يُنْبِتُـهُ الهَطْـلُ

فَـإِنْ لَمْ تَجِـدْ بُـدًّا فَجِئْنِـي بِمِـثْلِهِمْ ... وَطِـبْ بَعْـدَهَا نَفْسًـا وَأَنَّـى لَهُـمْ مِثْـلُ

رِجَـالٌ أَرَانِي حِـينَ أُثْنِـي عَلَـيْهِمُ ... أَذُمُّ زَمَانًـا مِـنْ صَـنَائِعِهِمْ يَخْلُـو

لَهُـمْ كُـلُّ مَنْحُـورٍ مُسَـجًّى عَـلَى الثَّـرَى ... كَسَـتْهُ الـدِّمَا كَالشَّـمْسِ آنَ لَهَـا طَفْـلُ[١٤]

وَكُـلُّ أَغَـرٍّ عَـرَّفَ الطِّـيبُ شَخْصَـهُ ... لِدَفَّانِـهِ إِذْ نُكِّـرَ اللَّـوْنُ وَالشَّـكْلُ[١٥]

إِذَا عُـدِّدُوا فَـاخَرْتُ يَـا جَمْـلُ صِـيدَهَا ... وَأَنْـدُبُهُمْ مَـا حَنَّـتِ الـوُرْقُ يَـا جَمْـلُ[١٦]

فَمِـنْهُمْ لِثِقْـلِ القَيْـدِ عَـانٍ إِذَا مَشَـى ... ثَنَـى جِذْعَـهُ كَالفُلْـكِ نَـاءَ بِـهِ حِمْـلُ[١٧]

وَمِـنْهُمْ عَـلَى الغَـبْرَاءِ شَـيْخٌ تَعَـاوَرَتْ ... بَنُـو أَسَـدٍ جَـدْوَاهُ وَالأَنْيُـبُ العُصْـلُ[١٨]

وَحُـرٌّ لَهُـمْ أَلْقَـى عَـلَى المَـوْتِ نَفْسَـهُ ... غَـدَاةَ مِـنَ الـدُّنْيَا لَـهُ مَأْخَـذٌ سَـهْلُ[١٩]

وَكَـالرُّمْحِ مِـنْهُمْ أَزْهَـرٌ هَـزَّهُ الإِبَـا ... لِوَصْـلِ المَنَايَـا وَهْـوَ مِـنْ بَيْعَـةٍ حِـلُّ[٢٠]

وَمِـنْهُمْ شَـبِيهٌ بِـالنَّبِيِّ مُحَمَّـدٍ ... خَلَائِقُـهُ وَالخَلْـقُ وَالقَـوْلُ وَالفِعْـلُ[٢١]

وَمِـنْهُمْ فَتًـى لَمْ يَبْلُـغِ الحُلْـمَ حِينَمَا ... تَصَـابَتْ إِلَيْـهِ الحُـورُ عَانَقَـهُ النَّصْـلُ[٢٢]

---

(١٣) المَوْتُور: مَنْ قُتِلَ له قَتِيلٌ فلم يدركْ بدمه.

(١٤) مُسَجًّى: الميت المغطى. طَفْل: مخففة من الطَّفَلِ، وهو الوقت بعد العصر إذا طَفَلَت الشَّمسُ للغروب.

(١٥) الأغرُّ: المشهور. الطِّيب: العِطْر.

(١٦) الصِّيدُ: جَمعُ أَصْيَد، وهو الملك المتكبِّر. الوُرْق: جمع الورقاء، وهي الحمامة. جَمْل: علَمٌ للمؤنَّث مُرَخَّمٌ من جَمْلَاء.

(١٧) العاني: الأسير. الفُلْكُ: السفينة. ناء به الحِمل: أثقله وأماله. ويقصد الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام.

(١٨) الغبراء: الأرض. العُصْلُ: من العَصَلِ، وهو اعوجاج الأنياب، ويريد بها أنياب الذئاب. ويقصد بالشيخ حبيبَ بنَ مُظاهِر الأَسَدِيّ.

(١٩) يقصد الحرَّ بنَ يزيد الرِّياحي.

(٢٠) أزهر: الأبيض مشرق الوجه من الرجال، ويقصد زهير بن القَيْن البَجَلِيّ.

(٢١) يقصد عليًّا الأكبر بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان أشبه الناس بجده صلى الله عليه وآله.

وَدُونَ ضِفَافِ النَّهْرِ لَمْ أَدْرِ هَلْ هَوَى ... لُهُمْ قَمَرٌ أَمْ هُدَّ مِنْ جَبَلٍ أَصْلُ[٢٣]

فَلِلْأَرْضِ لَمَّا مَادَ بِالطَّفِّ رَجْفَةٌ ... وَلِلسُّحْبِ لَمَّا خَرَّ أَسْنِمَةٌ هُزْلُ[٢٤]

وَمِنْ هَاشِمٍ تَبْكِي لُهُمْ أَنْجُمُ السَّمَا ... عَلَى أَنْجُمٍ فَوْقَ الرِّمَاحِ لَهَا نُزْلُ

رُؤُوسٌ تُجَلَّى كَالقَنَادِيلِ فِي السُّرَى ... جُمَانٌ مِنَ الأَجْسَادِ فِي الشَّامِ مُنْحَلُّ

وَمِنْهُمْ لِمَرْعَى العَيْنِ كَالزَّهْرِ فِتْيَةٌ ... إِذَا مَا ادْلَهَمَّ الخَطْبُ كَالبِيضِ تُسْتَلُّ[٢٥]

يَرُوعُكَ مِنْهَا فِي الوَغَى كُلُّ عَابِسٍ ... وَكُلُّ ضَحُوكٍ حِينَ يُدْرِكُهُ القَتْلُ[٢٦]

وَيَا جَمْلُ فِي كُوفَانَ مِنْهُمْ طَلِيعَةٌ ... لَهُ شَاهِقٌ مِنْهَا بِجُثْمَانِهِ يَدْلُو[٢٧]

وَقَدْ أَثْكَلَ القُرَّاءَ شَيْخٌ لُهُمْ قَضَى ... وَقَدْ جَلَّ مِنْ آيِ الكِتَابِ بِهِ الثُّكْلُ[٢٨]

وَمِنْهُمْ فَتًى كَانَ المَسِيحِيَّ فَاهْتَدَى ... وَلِلْهَدْيِ فِي حُسْنِ ابْنِ فَاطِمَةٍ فَأْلُ[٢٩]

وَمِنْهُمْ إِذَا عُدُّوا فَقِيهٌ وَخَادِمٌ ... وَحُرٌّ الوَرَى وَالعَبْدُ والطِّفْلُ وَالكَهْلُ

قَضَوْا كُلُّهُمْ دُونَ الحُسَيْنِ فَلَيْتَنِي ... قَضَيْتُ وَمِنْ هَذَا الأَنَامِ قَضَى الكُلُّ

مَيَامِينُ يُرْجَى الخَيْرُ وَالخَيْرُ بَعْدَهُمْ ... إِلَى الحَشْرِ أَضْحَى لَا يَدِبُّ لَهُ نَسْلُ[٣٠]

---

(٢٢) تصابت: اشتاقت إليه. ويقصد القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

(٢٣) يقصد أبا الفضل العباس بن علي بن أبي طالب.

(٢٤) أَسْنِمَةٌ: جمع سَنامِ الجمل.

(٢٥) ادْلَهَمَّ اللَّيلُ: كَثُفَ واسوَدَّ.

(٢٦) يشير إلى عابس بن أبي شبيب الشاكري.

(٢٧) يقصد بـ"الشاهق" قصرَ الإمارةِ في الكوفة الذي رُمِيَ من سطحه مسلم بن عقيل بن أبي طالب، رسول الحسين إلى أهل الكوفة.

(٢٨) يقصد بُرَيْرَ بنَ خُضَيْرٍ الهَمْدَانِيّ.

(٢٩) يقصد وَهْبَ بن حُبَاب الكَلْبِيّ، وقيل وهب بن عبد الله.

(٣٠) ميامين: جمع ميمون؛ أي: المبارك.

يَـرُوحُ وَيَغْـدُو الحَمْـدُ بَـيْنَ جُسُـومِهِمْ ... نَزِيـفَ الخُطَى يُثْنَى عَـلَى رَأْسِـهِ الرَّمْـلُ[٣١]

وَمَـا عَـابَهُمْ أَنْ لَمْ يَنَـالُوا مُـرَادَهُمْ ... وَتِلْـكَ عَـلَى الأَزْمَـانِ رَايَـاتُهُمْ تَعْلُـو

لَـئِنْ صُرِّعُـوا فَـالقَوْمُ حَـيٌّ جِهَـادُهُمْ ... وَيَـا جَمْـلُ هُـمْ مِـلْءُ الـبِلَادِ وَإِنْ قَلُّـوا

كَفَـى المَـرْءَ مِـنْهُمْ أَنَّـهُ فَـارَقَ الـدُّنَى ... وَمَـا خَـانَ فِي دِيـنٍ وَلَا سَـامَهُ ذُلُّ

وَلَا أَبْصَـرَتْ عَيْنَـاهُ لِلسِّـبْطِ ضَـجْعَةً ... بِهَـا دَمُـهُ القَـانِي لِفِضَّـتِهِ غُسْـلُ

تُخَـرِّقُ مِنْـهُ الـرِّيحُ مَـا أَبْقَـتِ الظُّبَـا ... وَيُصْـهَرُ بِالرَّمْضَـاءِ مِـنْ عِلْقِـهِ فَضْـلُ[٣٢]

"أَفَـاطِمُ لَـوْ خِلْـتِ الحُسَـيْنَ" مُخَـذَّلًا ... قُبَالَـةَ جَـيْشٍ لِلفَضَـاءِ بِـهِ عَضْـلُ[٣٣]

يُغَـاثُ بِزَخَّـاتِ السِّـهَامِ وَإِنَّـهُ ... لَعَمْـرِي لَقَـدْ أَوْدَى بِـهِ النُّبْـلُ لَا النَّبْـلُ[٣٤]

أَفَـاطِمُ لَـوْ أَبْصَـرْتِ ثَاوِيـهِ عَارِيًـا ... تَهَيَّـبُ مِـنْ تَزْمِيلِـهِ الأَرْضُ وَالظِّـلُّ[٣٥]

نَـزِيلًا عَـلَى العُسْـلَانِ أَمَّـا عَـلَى القَنَـا ... فَـرَأْسٌ لَـهُ لَا يَسْـتَقِرُّ بِـهِ رَحْـلُ[٣٦]

ثَـلَاثٌ لَـهُ بِـالطَّفِّ إِمَّـا ذَكَرْتُهَـا ... أَبِيـتُ عَلَيْهَـا كَالَّـذِي مَسَّـهُ خَبْـلُ

فَأَوَّلُهَـا فِي مَسْـرَحِ الخَيْـلِ أَنْ يُـرَى ... لِأَضْـلَاعِهِ وَالـرِّيحُ تَمْكُـو بِهَـا سَـحْلُ[٣٧]

وَبِالسَّـهْمِ ثَانِيهَـا وَلَمْ يُـرْوَ مِـنْ ظَـمًا ... عَـلَى حِضْـنِهِ كَـالطَّيْرِ أَنْ يُـذْبَحَ الطِّفْـلُ

وَأَفْـدَحُهَا أَنْ يَعْلُـوَ الشِّـمْرُ صَـدْرَهُ ... وَجَنْبَـاهُ مِـنْ قَيْـدَيْهِمَا الـرُّمْحُ والرَّكْـلُ

---

(٣١) النزيف الخُطى: سكران الخطى يترنَّح.

(٣٢) الرمضاء: الأرض شديدة الحرارة. العِلْق: النفيس من كلِّ شيءٍ.

(٣٣) العَضْلُ: الضيق والاستغلاق.

(٣٤) أودى به: أهلكه.

(٣٥) تزميله: تغطيته.

(٣٦)النزيل: الضيف. العسلان: جمع "عاسل"؛ وهو الذئب.

(٣٧) تمكو: تُصَفِّر، السحل: السَّحْقُ.

كَـــلَيِّ الأَضَـــاحِي لِلجَبِـــينِ يَتُلُّـــهُ وَمَـــا كَـــانَ إِلَا مِـــنْ كَرِيمَتِـــهِ التَّـــلُّ[٣٨]

صَرِيعًـــا يَـــرُوعُ الجِـــنَّ وَالإِنْـــسَ مَنْظَـــرًا وَفِي حُسْـــنِهِ عَـــنْ هَـــوْلِ مَصْـــرَعِهِ ذُهْـــلُ

تَحُشْـــرَجُ أَوْدَاجٌ لَـــهُ قَـــدْ تَقَطَّعَـــتْ وَبِالمَـــاءِ تَسْتَسْـــقِي شِـــفَاهٌ لَـــهُ ذُبَّـــلُ

أَلَا فَلْيَطُـــلْ يَـــا عَـــيْنُ مِـــنْ شَـــحْمِكِ الهَمْـــلُ وَجُهْـــدَ جَنَـــاحِ الطَّـــيْرِ يَـــا قَلْـــبُ لَا تَـــأَلُّ[٣٩]

وَبَعْـــدَ قَطِيـــعِ الـــرَّأْسِ بِـــالطَّفِّ لَا تَسَـــلْ فَبَـــيْنَ السَّـــمَا وَالأَرْضِ قَـــدْ قُطِـــعَ الحَبْـــلُ

لَعَمْـــرِي لَقَـــدْ أَغْـــرَى بِـــهِ الـــدَّهْرُ فَـــابْتَلَى بِـــأَبْوَابِ شَرٍّ فُتِّحَـــتْ مَـــا لَهَـــا قُفْـــلُ[٤٠]

وَبَاتَـــتْ عَـــلَى المُلْـــكِ العَضُـــوضِ هُدَاتُـــهُ يُشَـــرِّدُهَا الزَّنَّـــاءُ فِي الأَرْضِ وَالنَّغْـــلُ[٤١]

أَيُعْـــدَلُ -حَاشَـــا السِّـــبْطَ- بِـــابْنِ سُـــمَيَّةٍ وَلَـــوْلَا كِتَـــابُ اللهِ لَـــيْسَ لَـــهُ عِـــدْلُ[٤٢]

أَمِ انَّ اتِّبَـــاعَ الحَـــقِّ يَـــا جَمْـــلُ مُـــوحِشٌ فَـــآثَرَ هَـــذَا النَّـــاسُ أَنْ يُعْبَـــدَ العِجْـــلُ

إِلَيَّ إِلَيَّ الكَـــأْسَ يَـــا جَمْـــلُ إِنَّنِـــي أُرَامِـــي لِسَـــدِّ الثَّغْـــرِ وَالثَّغْـــرُ مُخْتَـــلُّ[٤٣]

وَمَـــا خَطَـــرِي بِالشِّـــعْرِ إِنَّمَـــا رَثَيْتُـــهُ وَصَـــدْرُ العُـــلَا كَالقِـــدْرِ يَغْلِي بِـــهِ الـــذَّحْلُ[٤٤]

قَتِيـــلٌ شَـــفَتْ مِنْـــهُ الأَعَـــادِي غَلِيلَهَـــا وَمَـــا يَشْـــتَفِي مِـــنْ بَعْـــدِهِ الفَـــرْضُ وَالنَّفْـــلُ

غَـــدَا مُـــذْ غَـــدَا نَهْـــبَ الإِبَـــاءِ وَفِي الـــوَرَى لَـــهُ وَالِـــدٌ أَضْـــحَى وَقَاتِلُـــهُ العَـــدْلُ

وَكَـــائِنْ تَـــرَى مِـــنْ عَـــاذِلٍ لِخُرُوجِـــهِ وَفِي صَـــمْتِهِ عَـــنْ غَـــيِّ عَاذِلِـــهِ عَـــذْلُ[٤٥]

---

٣٨) للجبين يتلُّه: يلقيه على جبينه. الكريمة: اللحية.

٣٩) لا تألُّ: لا تُقَصِّر.

٤٠) أَزْرَى به: انتقصه.

٤١) الملك العضوض: مُلكٌ فيه عَسْفٌ وظُلم.

٤٢) يُعْدَلُ الشيء بالشيء: يُسَوِّيه به ويجعله مثله.

٤٣) أرامي: من الرماية بالنَّبل.

٤٤) الذَّحْل: الحِقْدُ والثَّأر.

وَمَـنْ هَـانَ بَـذْلُ الـنَّفْسِ يَـا جَمْـلُ عِنْـدَهُ ... فَلَـيْسَ لَـهُ إِلَّا عَـلَى سِرِّهِ بُخْـلُ

وَصَـنَّاجَةٍ لِلطَّـفِّ مَـا انْفَـكَّ نَاعِيًـا ... يُغِـيرُ عَـلَى عَـزْمِ الـدُّمُوعِ فَيَفْتَـلُّ[٤٦]

أَجَـشٌّ أَبَـحٌّ عَتَّـقَ الـرُّزْءُ صَـوْتَهُ ... كَـمَا عَتَّـقَ الصَّـهْبَاءَ فِي دَنِّهَـا المَهْـلُ[٤٧]

"عَلَيْـهِ مِـنَ العِـزِّ القَـدِيمِ" عَبَـاءَةٌ ... ضُـحًى مِـنْ خُيُـوطِ اللَّيْـلِ كَـانَ لَـهُ غَـزْلُ

وَكَـالغَيْمِ أَعَـلَى الطَّـوْدِ تَعْلُـوهُ عِمَّـةٌ ... تُشَـامُ وَأَهْـلُ التَّـاجِ فِي صَـحْنِهَا غُفْـلُ[٤٨]

إِذَا مَـا سَرَى فِكْـرٌ بِخَـاطِرِهِ انْجَـلَى ... مِـنَ اللَّحْـنِ مَعْنًـى كَـانَ بِـاللَّفْظِ لَا يَخْلُـو

عَـلَى رَسْـلِهِ، طَـوْعُ الشُّـعُورِ لِسَـانُهُ ... وَفِي بَوْحِـهِ لِلـدَّمْعِ مِـنْ مُقْلَتِـي رَسْـلُ[٤٩]

يَحِـنُّ حَنِـينَ الظِّئْـرِ مِـنْ فَـوْقِ مِنْـبَرٍ ... وَإِنْ شِـئْتَ قُـلْ كَـالطَّيْرِ أَغْصَـانُهُ هُـدْلُ[٥٠]

عَلَيْـهِ خَلَعْـتُ العُمْـرَ طِفْـلًا وَيَافِعًـا ... وَكَهْـلًا يُـرَى لِلأَهْـرَمَيْنِ بِـهِ فَتْـلُ[٥١]

أَنُـوحُ وَمَـا تَخْبُـو بِصَـدْرِي حَـرَارَةٌ ... وَأَجْـزَعُ حَتَّـى قِيـلَ لَـيْسَ لَـهُ عَقْـلُ

كَـذَلِكَ حَتَّـى يُنْجِـزَ الـدَّهْرُ وَعْـدَهُ ... وَإِنِّي لَأَدْعُـو اللهَ أَنْ يَجْمُـلَ المَطْـلُ[٥٢]

وَأَرْجُـوهُ فِي قَـبْرِي مُحَـاذَاةَ أَعْظُـمٍ ... تَضَـمَّنَهَا مِـنْ زَوْجِ رَحْمَتِـهِ كِفْـلُ[٥٣]

---

(٤٥) كائن ترى: كم ترى!

(٤٦) الصناجة: آلة موسيقية ذا أوتار، استعارها الشاعر لناعي الحسين في المجالس الحسينية.

(٤٧) الصهباء: الخمر. الدن: وعاء ضخم للخمر.

(٤٨) الطَّوْدُ: الجبل. تُشَام: من "شامَ السَّحاب" أي: نظر إليه يتحقَّقُ أين يكون مطره. الغُفْلُ: من لا يُرْجَى خيره ولا يُخْشَى شرُّه، أو ما لا علامة فيه فهو غير معروف.

(٤٩) على رَسْلِه: مسترسلٌ في رثائه. رَسْل: يقصد به الدمع المسترسل.

(٥٠) الظِّئْرُ: العاطفة على ولد غيرها. هُدْلُ: جمع أهدل، وهو المسترخي المتدلي.

(٥١) الأهرمان: الليل والنهار، ويقصد به سواد الشعر وبياضه. الفَتْلُ: اللَّيُّ والبَرْمُ، وأراد به تداخل الشعر الأبيض والأسود كما يفتل الحبل من خيوط عديدة.

(٥٢) المَطْلُ: تأجيل موعد الوفاء بالحق مرة بعد أخرى.

وَقَـــدْ بَـــزَّتِ الـــدُّنْيَا أَصَـــالَةَ أَهْلِهَـــا وَمَـا زِلْـتُ مَـنْ فِي النَّـاسِ عَمَّاتُـهُ النَّخْـلُ[٥٤]

يُجَـــرِّئُ أَسْـــيَافَ العِـــدَا أَنَّ صَـــارِمِي بِكَـفٍّ كَمِـيٍّ لَـيْسَ مِـنْ جُنْـدِهِ الخَتْـلُ[٥٥]

إِذَا لَاحَ لَمَّـــاعٌ مِـــنَ الـــبَرْقِ خِلْتُـــهُ كَـــرَاحِ يَـدِي مَـا بَعْـدَ تَأْمِيلِهَـا خَـذْلُ

وَثَاكِلَـــةٍ بِـــالطَّفِّ حَـــيْرَى مَرُوعَـــةٍ عَلَيْهَـا مِـنَ الأَعْـدَاءِ فِي أَسْرِهَـا حَفْـلُ

يُعَنِّفُهَـــا الأَجْـــلَافُ وَهْـــيَ مِـــنَ الأُلَى يَشُـــدُّ رِوَاقَ العِـــزِّ مِـــنْ نَبْـــتِهِمْ أَصْـــلُ[٥٦]

بُيُوتـــاتُهُمْ لِلنَّـــاسِ مِنْهَـــا عَـــوَارِفٌ وَللهِ فِيهَـــا مِـــنْ رِسَـــالَاتِهِ جَعْـــلُ[٥٧]

فَبَاتَـــتْ عَـــلَى الأَكْـــوَارِ فِي كُـــلِّ بَلْـــدَةٍ كِتَـابٌ عَلَيْهَـا القَيْـدُ وَالعَـرْضُ وَالنَّقْـلُ[٥٨]

وَمَـا خَفِيَـــتْ فِي النَّـــاسِ مِنْهَـــا كَرَامَـــةٌ وَلَكِنَّهَـــا الآيَـــاتُ نَابَـــذَهَا الجَهْـــلُ[٥٩]

وَقَـــدْ يُتَّقَـــى الآسَـــادُ مِنْهَـــا وَطَالَمَـــا تَبَخْـــتَرَ بِالصَّمْصَـــامِ مِـــنْ حَوْلِهَـــا الشِّـــبْلُ

وَلَكِـــنَّ طُـــلَّابَ العُـــلَا رُكِّبَـــتْ بِهِـــمْ شَـــمَائِلُ لَا يَلْـــتَمُّ مِـــنْ بَعْـــدِهَا شَـــمْلُ

---

(٥٣) الكِفْل: النصيب.

(٥٤) بزَّ: سَلَبَ.

(٥٥) الختل: الخداع.

(٥٦) الرواق: جانب الخيمة.

(٥٧) العوارف: جمع العارفة؛ وهي الإحسان.

(٥٨) الأكوار: جمع كُور؛ وهو رَحْلُ الناقة. كتابٌ: أراد به "مكتوب"، أي الإلزام والقدر.

(٥٩) نابذها: جاهرها بالحرب، أو فارقها عن خلافٍ وبغض.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

((إذا أَحْسَنْتَ الْقَوْلَ فَأَحْسِنِ الْعَمَلَ لِتَجْمَعَ بِذلِكَ بَيْنَ مَزِيَّةِ اللِّسانِ وَفَضيلَةِ الْإِحْسانِ)).

(علي الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ: 137)

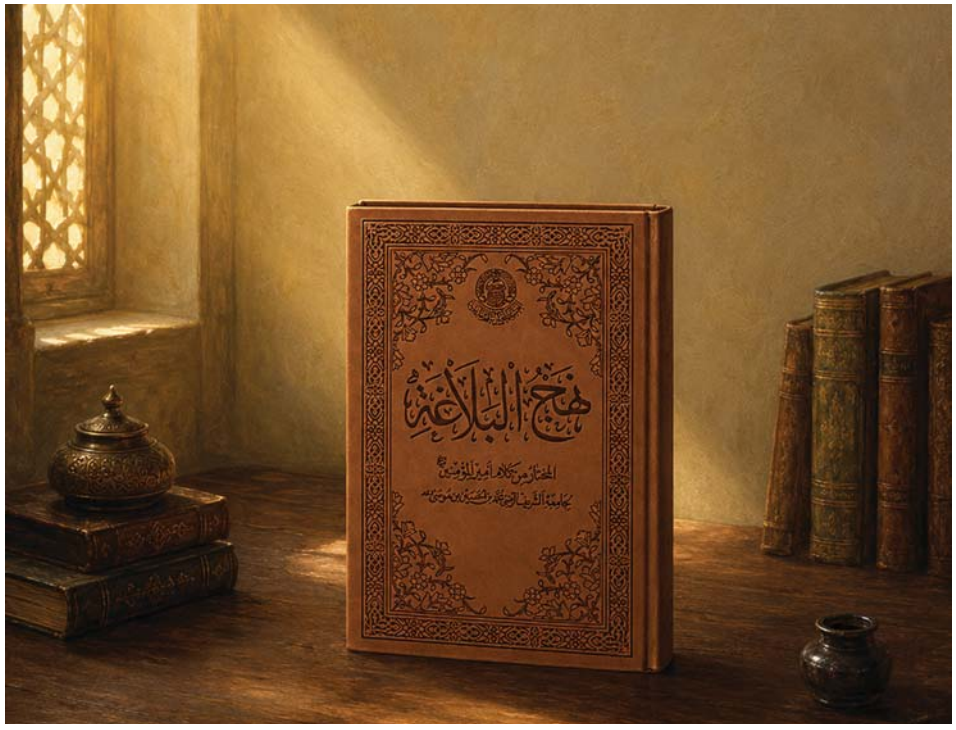
بلسانٍ علويٍّ مُبين

- دلالة السكينة في نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام

د. فاطمة عبد الزهرة العيداني
مديرية تربية البصرة

- أدب التخاطب مع الخالق في رحاب أمير المؤمنين عليه السلام

م.م محمد هاشم جبار العوادي
مديرية تربية ذي قار



دلالة السكينة في نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام

د. فاطمة عبد الزهرة العيداني
مديرية تربية البصرة

يُعد كتاب (نهج البلاغة) صرحاً بيانياً تلاقت فيه صولة الفصاحة بعمق المعنى الأخلاقي، مما جعله مصدراً رئيساً للدراسات الدلالية والروحية، ومن بين المفاهيم المركزية التي صاغها الإمام عليه السلام يبرز مفهوم (السكينة)؛ فهي لا تقتصر في المنظور العلوي على معناها اللغوي المرتبط بالهدوء، بل تتحول إلى مقام إيماني يمنح النفس (قرار الأمن)، ويطرد عنها شوائب الشك والاضطراب، وتكمن أهمية هذه الدراسة في تتبع دلالة السكينة عبر خمسة سياقات رئيسة: (التعبدي الوصفي، والتنزيل الغيبي، والاتصال الوجودي، والعسكري الحربي، والاجتماعي الإداري)، مع التركيز على شرح ابن أبي الحديد المعتزلي لبيان الأبعاد الاستعارية والكنائية التي وظفها الإمام في نصوصه.

التحديد اللغوي للسكينة في المعاجم:

تدور المادة اللغوية (سكن) في أُمّات المعاجم حول انقطاع الحركة وحصول الوقار:

كتاب العين: يرى الخليل بن أحمد أن السكينة هي "الطمأنينة" التي تسكن إليها النفس

وتأنس بها، وهي نقيض الاضطراب[١].

في مقاييس اللغة: يؤكد ابن فارس أنّ السين والكاف والنون أصل واحد يدل على "خلاف الاضطراب والحركة"، ومنه السكينة التي ينزلها الله في قلب عبده ليسكن بها[٢].

في لسان العرب: يفصل ابن منظور الدلالة بأن السكينة هي "الطمأنينة والوقار والسكون" الذي ينزله الله في القلب عند المخاوف، فلا ينزعج الإنسان بعدها لما يرد عليه[٣].

والسكينة هي الطمأنينة والوقار والسكون، الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يَرِد عليه، ويوجب له ذلك زيادة في الإيمان وقوة في الثبات واليقين[٤].

السكينة (إشعاراً) وملازمة باطنية (تحليل الخطبة ٩١):

في وصفه لعظمة الملائكة ومقامهم الإيماني الرفيع، يورد الإمام علي عليه السلام في "خطبة الأشباح": ((وأشعر قلوبهم تواضع إخبات السكينة، وفتح لهم أبواباً ذللاً إلى تماجيده))[٥].

يرى ابن أبي الحديد في تحليله لهذا النص أن الإمام عليه السلام استعمل فعل "أشعر"، وهو مشتق دلالياً من "الشعار"، وهو الثوب الذي يلي الجسد ويلاصقه مباشرة[٦]، بل هي (بطانة) للقلب تلامس سويداءه، مما يفيد الملازمة التامة التي لا تنفك عنهم.

يشير هذا التوظيف إلى أن السكينة والوقار في المنظور العلوي للملائكة والمتقين ليست حالة عارضة أو (زيّاً) خارجياً، يرتديه المرء أحياناً وينزعه أحياناً، بل هي هيأة راسخة تملأ الكيان من الداخل.

كما أن الإمام عليه السلام قرن السكينة بـ (الإخبات)، وهو السكون إلى الله بالتذلل المطلق، مما يعني أنّ السكينة هي الثمرة اللدنية الناتجة عن انكسار القلب بين يدي الخالق، وهي التي ترفع تشتت الذهن وتفتح آفاق اليقين المعرفي.

السكينة "جلباباً":

ينتقل الإمام بالسكينة من مقام "الإشعار" الباطني إلى مقام (التجلبب) الظاهري في السياق العسكري، إذ يوجه مقاتليه بصفين قائلاً: ((استشعروا الخشية، وتجلببوا السكينة، وعضُّوا على النواجذ))[٧].

يوضح ابن أبي الحديد أنّ "الجلباب" هو الثوب الشامل الذي يغطي البدن بكامله، والأمر بـ "تجلبب السكينة" هو كناية عن الأمر بتسكين القلب وترك الاضطراب في مواجهة الموت[٨].

ويربط التحليل الدلالي هنا بين "السكينة" و(العض على النواجذ)؛ إذ إن الهدوء النفسي (السكينة) يؤدي إلى ثبات الجوارح واشتداد عزيمة المقاتل، مما يجعل وقع السيوف عليه "أنبى" (أي أقل تأثيراً)، وبذلك، تتحول السكينة في هذا السياق من مقام تعبدي إلى واقع عسكري ونفسي،

يحقق أقصى درجات الثبات الوجودي، وعقد الإمام مقابلة دلالية بين "الخشية" (البطانة) و"السكينة" (الظهارة)، فالخشية الباطنية تثمر سكينة ظاهرة، وهذا التلازم يؤدي إلى ثبات الجوارح؛ إذ إنّ الإنسان المطمئن يكون أقدر على مقاومة الصدمات، ويكون تأثير السيوف فيه أقل من حيث وهن العزيمة، فدلالة العض على النواجذ تدل على طلب الثبات من المقاتل في المعركة، ومقاومة ضربات السيوف، فالعض عليها يجعل السيف ينبو: أي يتجافى ولا يمضي في الهامة؛ لتصلبها، فأراد الإمام عليه السلام أن يستجمع المقاتل قوته الجسدية والنفسية، لأنها من عوامل الثبات، ومن مستلزما ت تحقيق النصر[٩].

السكينة "تنزلاً" غيبياً على أهل الذكر:

يصف الإمام علي عليه السلام حال الذاكرين المخلصين الذين انقطعت همومهم لله بقوله: ((قد حفَّت بهم الملائكة، وتنزَّلت عليهم السكينة، وفُتحت لهم أبواب السماء، وأُعدَّت لهم مقاعدُ الكرامات))[١٠] يمثل هذا النص المرتكز الدلالي للسكينة في "النهج":

إنّ اقتران "تنزل السكينة" بـ "حفوف الملائكة" ينقل المصطلح من حيز الهدوء النفسي البشري إلى حيز "الفيض الإلهي"؛ فالسكنية هنا منحة لدنية تجعل المؤمن في حالة اتصال دائم بالملكوت[١١].

فقد ربط الإمام بين السكينة و"فتح أبواب السماء"، مما يشير دلالياً إلى أنّ السكينة هي

> قرن الإمام علي عليه السلام السكينة بـ (الإخبات)، وهو السكون إلى الله بالتذلل المطلق، ما يعني أن السكينة هي الثمرة اللدنية الناتجة عن انكسار القلب بين يدي الخالق.

المفتاح الروحي الذي يرفع تشتت الذهن، ويسمح للروح بالولوج إلى فضاء اليقين دون عوائق[١٢].

إنّ الثبات في "مقعد الصدق": تدل هذه المصاحبات على أنّ السكينة هي الثمرة المباشرة لليقين الذي لا يشوبه ريب، وهي التي تمنح الجوارح خشوعاً واللسان حكمة[١٣].

السكينة مسلكاً تداولياً واجتماعياً:

ومن أسمى تجليات السكينة في "النهج" تحولها إلى بروتوكول أخلاقي في التعامل مع الرعية، ففي وصيته لجُباة الصدقات، يقول عليه السلام: ((فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امضِ إليهم بالسكينة والوقار، حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم))[١٤].

يشير ابن أبي الحديد إلى أنّ اقتران السكينة بالوقار في هذا السياق يهدف إلى طمأنة الناس وعدم ترويعهم في أثناء أداء المهمة الرسمية[١٥].

السكينة هنا هي "هيأة وقار" تضبط إيقاع السلطة؛ فالوقار هو المتوسط المحمود بين

الكبر والتواضع، واقتران السكينة بالسلام "فتسلم عليهم" يدل على أنّ الهدوء النفسي هو مفتاح التواصل الناجح، حيث تذوب الحواجز بين الحاكم والمحكوم تحت مظلة الوقار الإيماني.

إنّ مضي الموظف العام بالسكينة يرفع من قدره في عيون الرعية، ويحقق "السلم الإجتماعي"، إذ يمهد الهدوء النفسي لعملية التواصل (السلام)، لتكون مفتاحاً لحل النزاعات وجلب الحقوق برضا وطمأنينة.

السكينة في مقابل طمأنينة الدنيا الزائفة

من كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته، وفيه يحذر الإمام من الركون إلى الدنيا بقوله: ((فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصته إلى محذور))[16].

التضاد الدلالي: السكينة الحقيقية في النهج هي "خمود الشك" و"ركود الريب" الناتج عن ذكر الله.

أما الاطمئنان للدنيا فهو "عجز يلم بالإنسان" واغترار بالزوال والسكينة الإيمانية، تمنح العبد "سكون أمن في استراحة أنس" دائم، وهي الغاية التي تنتهي بالسالك إلى "منتهى الطمأنينة" في دار الكرامة[17].

الخاتمة:

توصلنا في دراستنا إلى أنّ مفهوم السكينة في "نهج البلاغة" يمثل مقاماً رتبياً يبدأ بـ "التنزل" الغيبي على أهل الذكر، و(إشعاراً) باطنياً يملأ القلب باليقين (كالثوب الملاصق)، إلى (وقار) اجتماعي يضبط التعامل مع الرعية، وصولاً إلى (جلباب) عسكري يثبت الأقدام في الميادين.

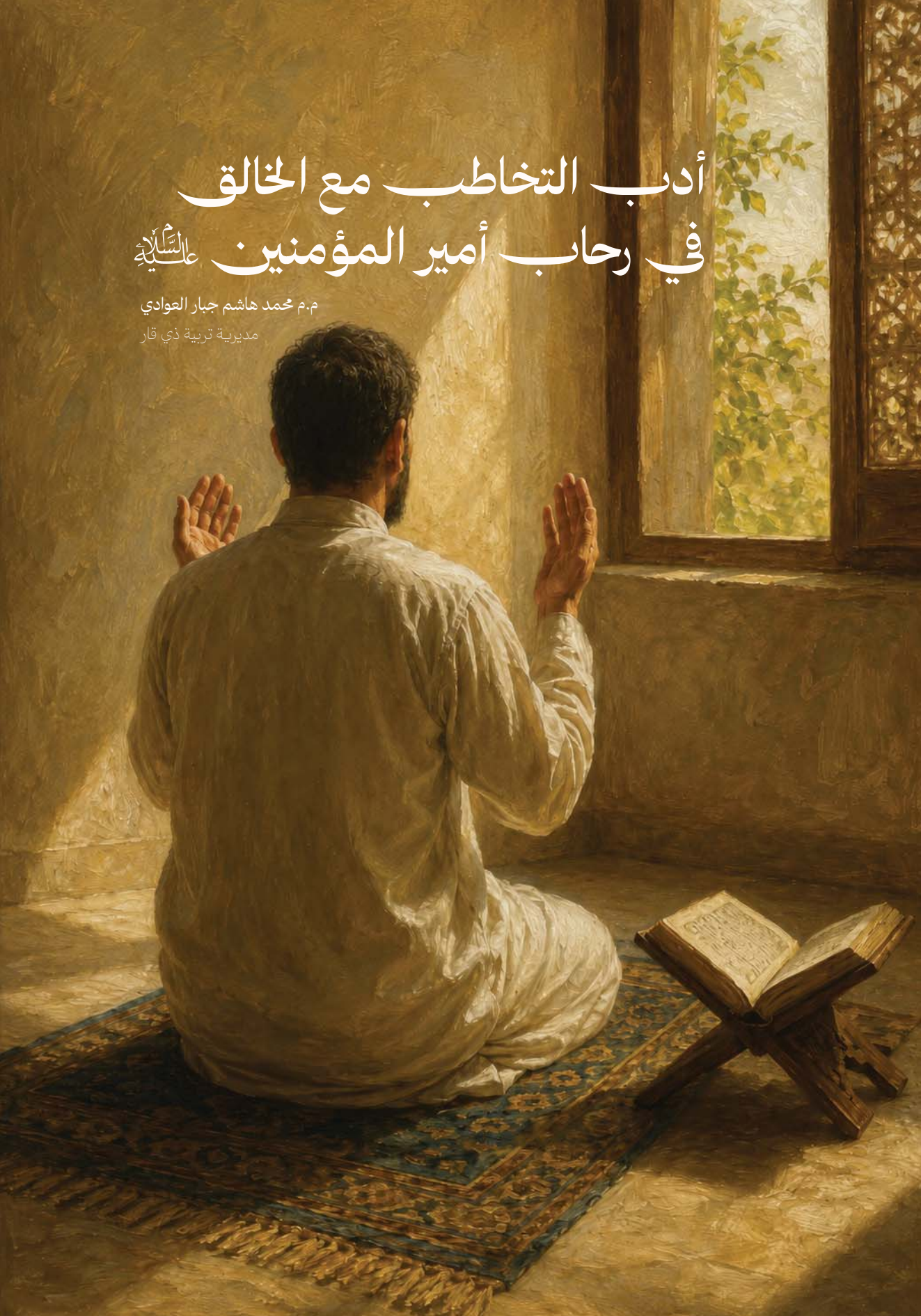
وقد أثبت التحليل في ضوء شرح ابن أبي الحديد أنّ الإمام عليه السلام ارتقى بالسكينة من معناها (السكوني) السلبي إلى معناها (الديناميكي) الإيجابي، الذي يعصم الإنسان من القلق والاضطراب في تقلبات الحياة كافة، لتكون هي "لباس المتقين"، الذي يورثهم الحكمة والثبات.

---

١. الفراهيدي، العين: ٢/ ١٠٩٥.
٢. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٧٨.
٣. ابن منظور، لسان العرب: ٨/ ٢٠٤.
٤. ايمان عبد العباس معضد، الطمأنينة بين القران الكريم ونهج البلاغة١٠.
٥. الشريف الرضي، نهج البلاغة: الخطبة ٩١.
٦. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٢٤٩.
٧. الشريف الرضي، نهج البلاغة: ٦٦.
٨. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٨/ ٢٥.
٩. فاطمة العيداني،الملامح الدلالية لأفعال الحركة في تعبير نهج البلاغة: ٨٤٨.
١٠. الشريف الرضي، نهج البلاغة: حطبة ٢٢٠.
١١. فلاح عبد العامري، المصاحبة اللغوية وأثرها الدلالي في نهج البلاغة: ٢٠١.
١٢. المصدر نفسه: ١٣٥.
١٣. المصدر نفسه: ١٨٦.
١٤. الشريف الرضي، نهج البلاغة: الكتاب ٢٥.
١٥. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٥/ ١٥٠.
١٦. المصدر نفسه: ١٩/ ٣٠٣.
١٧. سعيد عبد العظيم منصور، مفهوم السكينة بين الفكر اليوناني والفكر الإسلامي:٥١٢.

أدب التخاطب مع الخالق في رحاب أمير المؤمنين عليه السلام

م.م محمد هاشم جبار العوادي
مديرية تربية ذي قار



تمثّل مفردة "الحمد" في نهج البلاغة جسراً روحياً يتجاوز حدود المفردات اللسانية، ليكون جوهر "أدب التخاطب" الذي يرتقي بالذات نحو ملكوت المعرفة الإلهية عن طريق خطب الإمام علي عليه السلام. نلتمس منهجاً فريداً يمزج بين جلال العظمة الإلهية وانكسار الافتقار البشري، غارساً في النفس أسمى قيم التواضع والشهود.
يسعى هذا المقال إلى الوقوف على مقاصد تلك الاقتباسات التربوية، وتحليل ركائزها المعرفية والسلوكية، مع تسليط الضوء على أثر هذا الأدب الرفيع في تعزيز الصحة النفسية المعاصرة.

الأسس المعرفية لأدب التخاطب مع الخالق:

يربي الإمام علي عليه السلام الإنسان على أنّ أول أدب مع الله تعالى هو الإقرار بأن عظمته لا يحيط بها وصف، فالبلاغة هنا تبدأ من حيث ينتهي البيان البشري ((الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون))[1] ومن أدب الخطاب ألا يُشبّه الخالق بخلقه.

يرسخ أمير المؤمنين عليه السلام قاعدة أن الله تعالى يُعرف بآثاره لا بكيفيته، وهذة قمة التوحيد التربوي (الحمد لله الدال على وجوده بخلقه، وبمحدث خلقه على أزليته، وباشتباههم على أن لا شبه له)[2].

يريد الإمام عليه السلام أن يرتقي العبد إلى المرتبة التي يستطيع من خلالها ليحمد الله لذاته وجماله، لا لمجرد طمع في رزق أو خوف من عقاب ((الحمد لله الذي لم تسبق له حال حالاً، فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً، وظاهراً قبل أن يكون باطناً))[3].

إنّ التربية بالرهبة والرجاء تظهر في اختيار مفردات الثناء التي تجمع بين (العز والكبرياء) لكسر كبرياء النفس البشرية ((الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء، واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حمىً وحرماً على غيره))[4]، إذ يربط الإمام عليه السلام بين نعم الله الظاهرة والباطنة وبين وجوب استدامة الثناء، مما يخلق حالة من المراقبة الدائمة للمنعم ((أحمده استتماماً لنعمته، واستسلاماً لعزته، واستعصاماً من معصيته، وأستعين به فاقةً إلى كفايته))[5].

الأبعاد التربوية والسلوكية في لغة الحمد:

في أدب الخطاب العلوي، يُقدم الثناء كشفيع بين يدي المسألة، فالحمد هنا مفتاح لبوابات الإجابة ((الحمد لله

الـذي جعـل الحمـد مفتاحـاً لذكره، وسـبباً لتمجيـده، ومـاداً لنعمـه، ودليـلاً عـلى آلائـه))[٦] ويعلمنـا أمـير المؤمنـين عليه السلام أنّ أدب التخاطـب يختـبر في الشـدة، فـالله محمـود عـلى عدلـه في البـلاء كما هـو محمود عـلى فضلـه في الرخـاء.

((نحمـده على ما كان، ونسـتعينه مـن أمرنا عـلى مـا يكـون))[٧] (الـذي غلقـت دون نعـت الصفـات لُجـج البحـار، وزخـرت دون وصفـه غوامـق الأفـكار)[٨] .

فعـن طريـق صـور لجـج البحـار وعلـو السـماء، يـزرع عليه السلام في المصـلّي هيبـةً تجعـل اللسـان يرتجـف أدبـاً عنـد النطـق بالاسـم الأعظـم.

إن التربيـة بالحمـد تعصـم الإنسـان مـن المعصيـة؛ لأن من استشـعر عظمـة المحمود اسـتحيى مـن مخالفتـه ((أحمـده شـكراً لإنعامـه، وأسـتعينه عـلى القيـام بحقوقـه، فإنـه جم العـدة، جزل المثوبـة))[٩]، إذ يخرج الإمـام عليه السلام الإنسـان مـن قوقعتـه ليحمده باسـم كل مخلـوق، ممـا يـربي روح الجماعـة والترابـط الكوني لـدى المؤمـن، ((الحمد لله الكائـن قبـل أن يكـون كرسي أو عـرش، أو سـماء أو أرض))[١٠].

> إنّ أدب المناجـاة والتواصـل مـع الخالـق في مدرسـة الإمـام عـلي عليه السلام لا يقـف عنـد حـدود البلاغـة اللفظيـة أو الـترف اللغـوي، وإنـما يهـدف إلى صياغـة بنـاء إنسـاني متكامـل.

أثـر أدب التخاطـب العلـوي في الصحـة النفسـية المعـاصرة:

إنّ المتأمل في مدرسـة الحمـد عند الإمام علي عليه السلام يجـد أنها تمثـل ترياقاً إيمانيـاً للعديد من الأزمـات النفسـية التـي يعـاني منها إنسـان العـصر الحديـث، ويمكـن إجمال هـذا الأثر في النقـاط الآتية:

١- عـلاج القلـق الوجـودي والشـعور بالفقـد: مـن خـلال قولـه عليه السلام نحمـده عـلى مـا كان، ونسـتعينه مـن أمرنـا عـلى مـا يكـون، يـزرع الإمـام عليه السلام في النفـس حالـة مـن التصالـح مـع المـاضي واليقـين في تدبـير المسـتقبل هـذا النـوع مـن الثنـاء، يحـرر الإنسـان مـن أسر النـدم عـلى مـا فـات والقلـق المفـرط مما سـيأتي، ممـا يحقق اسـتقراراً نفسـياً عميقـاً[١١].

٢- الامتنـان وسـيلة للاستشـفاء الـذاتي: أثبتـت الدراسـات النفسـية الحديثـة أن ممارسـة الامتنان ترفع من مسـتوى السـعادة

وتقلل من الاكتئاب، وفي نهج الإمام عليه السلام يتحول الحمد إلى مفتاح لذكر الله وسبب لتمجيده، وهو أعلى مراتب الامتنان الذي يخرج الإنسان من دائرة التركيز على المفقود إلى استشعار قيمة الموجود واستتمام النعمة.

٣- تحجيم التضخم الذاتي (النرجسية): يعاني العصر الحالي من مادية مفرطة تُعلي من شأن (الأنا)، بينما يؤصل الإمام عليه السلام لأدب يكسر كبرياء النفس عبر الاعتراف بأن العز والكبرياء حمىً لله وحده، هذا التواضع المعرفي والوجداني يحمي الفرد من الصراعات النفسية الناتجة عن تضخم الذات، ويجعله أكثر مرونة في تقبل أقدار الله وتقلبات الحياة.[١٢]

في الختام:

إنّ أدب المناجاة والتواصل مع الخالق في مدرسة الإمام علي عليه السلام لا يقف عند حدود البلاغة اللفظية أو الترف اللغوي، وإنّما يهدف إلى صياغة بناء إنساني متكامل، فقد سخّر الإمام عليه السلام أدوات البيان من استعارة وطباق وبراعة استهلال، ليعمق في وجدان السامع حقيقة أنّ "الحمد" هو إقرار قلبي بجمال الحق وجلاله.

وقد خلص هذا المقال إلى أنّ الحمد في النهج العلوي يرتكز على تروية النفس بثلاث ركائز أساسية وهي: (التواضع – اليقين – الافتقار إلى الله) لذا فاستقامة الايمان هي ثمرة تلاحم هذه الركائز الثلاث.

١. الشريف الرضي، نهج البلاغة، ، شرح الشيخ محمد عبده: ١/ ١٥.
٢. المصدر نفسه: ٢/ ١٥٢.
٣. المصدر نفسه: ١/ ١١٥.
٤. المصدر نفسه: ٢/ ١٩٨.
٥. المصدر نفسه: ١/ ٣١.
٦. الكليني، أصول الكافي: ٢/ ٥٠٣.
٧. الشريف الرضي، نهج البلاغة: ٢/ ٨٩.
٨. المصدر نفسه: ١/ ١٦٣.
٩. المصدر نفسه: ٢/ ١١٠.
١٠. المصدر نفسه: ٢/ ٥١.
١١. عباس علي العزري، مفاهيم نفسية في نهج البلاغة: ٨٨.
١٢. مقداد يلجن، علم النفس التربوي في الفكر الإسلامي:٤/ ٢١٠.

مناهج الحياة

من قصار حكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في (حرب الجمل)

لقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام في (نهج البلاغة) جملةً من الحروب التي خاضها ضد الناكثين والقاسطين والمارقين، إذ كان عليه السلام يمثل السيف الإسلامي الضارب في وجه الأعداء والمارقين عن الدين.

ومن بين أبرز هذه الحروب التي كان لها ذكر خاص عنده هي حرب الجمل؛ لما لها من وقع في قلبه جراء ما فعله القوم بتأليب المجتمع القرشي عليه آنذاك.

فلقد كان يقول عليه السلام لأصحابه عن الحرب بشكل عام: ((لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ ولَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ وأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا ووَطِّنُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا واذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ والضَّرْبِ الطِّلَحْفِيِّ وأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا أَسْلَمُوا ولَكِنِ اسْتَسْلَمُوا وأَسَرُّوا الْكُفْرَ فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ)).

ومن كلام له عليه السلام لما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل: ((لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ ويَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ ولَكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا)).

ومن كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تثبيطه الناس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل: ((مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وعَلَيْكَ فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ واشْدُدْ مِئْزَرَكَ واخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ وانْدُبْ مَنْ مَعَكَ فَإِنْ حَقَّقْتَ فَانْفُذْ وإِنْ تَفَشَّلْتَ فَابْعُدْ وايْمُ اللَّهِ لَتُؤْتَيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ ولَا تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ وذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ وحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قِعْدَتِكَ وتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ ومَا هِيَ بِالْهُوَيْنَى الَّتِي تَرْجُو ولَكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى يُرْكَبُ جَمَلُهَا ويُذَلَّلُ صَعْبُهَا ويُسَهَّلُ جَبَلُهَا فَاعْقِلْ عَقْلَكَ وامْلِكْ أَمْرَكَ وخُذْ نَصِيبَكَ وحَظَّكَ فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ ولَا فِي نَجَاةٍ فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وأَنْتَ نَائِمٌ حَتَّى لَا يُقَالَ أَيْنَ فُلَانٌ واللَّهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ ومَا أُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ والسَّلَامُ)).

الصراط المستقيم

العدالة من العقد الاجتماعي إلى الميزان الإلهي- قراءة نقديّة للأنموذج العلوي في مواجهة مأزق اللامساواة الحديثة

الباحثة: الناز موسوي يكتا
الجمهورية الإسلامية الإيرانية



العدالة من العقد الاجتماعي إلى الميزان الإلهي

الباحثة: الناز موسوي يكتا
الجمهورية الإسلامية الإيرانية

على الرغم من تضخّم نظريّات العدالة في العصر الحديث ـ بدءاً من ليبراليّة جون رولز ووصولاً إلى مقاربة القدرات لأمارتيا سِن ـ ما يزال العالم المعاصر أسير دوّامة اللامساواة المتصاعدة، ومع أنّ القرنين العشرين والواحد والعشرين شهدا أكثر الصيغ تعقيداً لتوزيع الثروة وتكافؤ الفرص، فإنّ الفجوات الطبقيّة، والفقر المعلوماتي، والأهمّ من ذلك أزمة المعنى، تكشف عن حلقة مفقودة في هذه المعادلات، تكمن هذه الحلقة في اختزال العدالة إلى توافق تعاقدي منزوعٍ من الفضيلة الأخلاقية.

ترى هذه المقالة ـ عبر العودة إلى فكر الإمام علي عليه السلام ـ بأنّ العدالة هي حقيقة وجوديّة (أنطولوجيّة)، لا تتحقّق بمعزلٍ عن المبدأ التوحيدي وكرامة الإنسان.

مأزق النظريات الحديثة وأدلّتها الدينيّة:

تقوم نظريّة العدالة كإنصاف لجون رولز على فكرتي الوضع الأصلي وحجاب الجهل، حيث يتوافق الأفراد لتعظيم مصالحهم، وقد انتقد الفلاسفة الجماعيون، ومنهم مايكل ساندل في كتابه الليبراليّة وحدود العدالة، هذا المنظور؛ لأنّه يفصل الإنسان عن سياقه الأخلاقي وغاياته الفطريّة، أمّا أمارتيا سِن، فرغم تركيزه في كتابه فكرة العدالة على القدرات، إلا أنّه يظلّ يدور في فلك النموذج التنموي العلماني.

في المقابل، تُعدّ العدالة في الفكر الإسلامي صفةً لفعله تعالى وغايةً لبعثة الرسل، وليست مجرّد توافق بشري، يقول تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[الحديد: ٢٥].

تجاوز العدالة العلمانيّة – العدالة بوصفها قوام الوجود–:

في النسق الحديث، غالباً ما تُعرَّف العدالة بوصفها أداة لحفظ النظام الاجتماعي أو تحسين الرفاه، ولكن في النظرية العلويّة، تُعدّ العدالة جوهراً وقواماً للوجود، فعندما يقول الإمام علي عليه السلام: ((الْعَدْلُ قِوَامُ الْبَرِيَّةِ))[1] و((الظُّلْمُ بِوَارُ الرَّعِيَّةِ))[2]، فهو لا يتحدّث عن عقد اجتماعي، بل عن قانون تكويني، فالظلم على وفق هذا التصوّر هو خلل في نظام الخلق، وبذلك تختلف العدالة العلويّة عن منظور رولز، الذي يرى العدالة نتاج توافق العقلاء خلف حجاب الجهل، أمّا في الأنموذج العلوي، فهو انعكاس لميزان الله في الأرض، وشرطٌ لبقاء الحضارة، كما يقول الإمام علي عليه السلام: ((بِالْعَدْلِ تَتَضَاعَفُ الْبَرَكَاتُ))[3]، وهذا التحوّل يرتقي بالعدالة من مستوى التشريع الوضعي إلى مستوى المعرفة التوحيديّة.

> **إنّ إعادة قراءة عدالة الإمام علي عليه السلام في عالم اليوم ليست مجرّد استرجاع تاريخي، بل هي وصفة علاجية لأزمات الإنسان المعاصر.**

العدالة التكوينيّة والتشريعيّة:

يرى العلّامة الطباطبائي في الميزان أنّ القوانين الاجتماعيّة (العدل التشريعي)، لا بدّ أن تكون انعكاساً للقوانين الوجوديّة (العدل التكويني)، وتشير مفردة (قوام) في كلام الإمام عليه السلام إلى أنّ المجتمع بلا عدل كالبناء بلا أعمدة، مآله السقوط الحتمي، ويتقاطع هذا مع نظريّات الأنظمة الحديثة، التي ترى أنّ خروج أيّ نظام عن التوازن

يؤدي إلى انهياره.

إن الظلم كالفوضى في الفيزياء، يؤدّي الانحراف عن النظام إلى زيادة (الإنتروبيا) الفوضى وموت النظام، وقوله عليه السلام: ((مَنْ عَمِلَ بِالْعَدْلِ حَصَّنَ اللهُ مُلْكَهُ))[٤] يشير بدقّة إلى هذه الآليّة؛ فالظلم يهدر الطاقة الكامنة في المجتمع ويفكّك بنيانه، وقد ذهب ابن خلدون في المقدّمة إلى أنّ الظلم هو المؤذّن بخراب العمران، وهو ما ينسجم تماماً مع المنطق العلوي.

نقد الاقتصاد السياسي الحديث بمنطق (ما جاع فقير):

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((مَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ))[٥].

إذ يُمثّل هذا القول نقداً صارخاً للنظريات التي تعُدّ تراكم رأس المال محرّكاً للتنمية، وترى الفقر نتيجةً لنقص الموارد أو لتقصير الفرد، فأمير المؤمنين عليه السلام يؤسس لعلاقة سببيّة مباشرة بين ثراء القلّة المفرط وفقر الكثرة، وفي عالم اليوم، حيث يملك ١٪ نصف ثروات العالم، يؤكّد المنظور العلوي أنّ عدم المساواة ليست أمراً طبيعياً، وإنما هي نتاج بنى توزيع جائرة.

الارتباط العضوي بين أخلاق الحاكم والعدالة البنيويّة:

تكمن نقطة العمى في النظريات الحديثة في الفصل بين أخلاق السياسي وبنية النظام؛ إذ تفترض الديمقراطيات الحديثة أنّ الرقابة الخارجية تكفي للحدّ من الفساد، غير أنّ الأنموذج العلوي يبيّن أنّ العدالة البنيويّة من دون تزكية النفس سراب، يقول الإمام علي عليه السلام: ((مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ))[٦]، وهذا شرطٌ سياسيّ قبل أن يكون وصيّة أخلاقيّة، فما لم تتحوّل السلطة إلى أمانة بدلاً من غنيمة، وما لم يرَ الحاكمُ نفسه واقفاً بين يدي الله، فلن يمنع أيّ نظام رقابي إعادة إنتاج عدم المساواة، إنّ العدالة العلويّة تمزج ببراعة بين التقوى الفرديّة والرقابة المؤسسيّة.

تفترض الديمقراطيات الحديثة أنّ الرقابة الخارجية تكفي للحدّ من الفساد، غير أنّ الأنموذج العلوي يبيّن أنّ العدالة البنيويّة من دون تزكية النفس سراب.

نقد الإدارة التكنوقراطيّة:

يشدّد ماكس فيبر في نظريّة البيروقراطيّة على العقلانيّة الأداتيّة وفصل العام عن الخاص، لكنّ الفضائح الكبرى (مثل ووترغيت أو أزمة ٢٠٠٨ الماليّة) أثبتت أنّ القانون وحده لا يصنع النزاهة، ويكشف ميشيل فوكو في أبحاثه عن الحكوميّة كيف يتسرّب النفوذ والسلطة إلى نسيج الذوات، في حين تقدّم الرؤية الإسلاميّة أنّ حكم الذات هو المقدّمة

الضرورية لحكم المجتمع.

الأدلّة الروائية: يقول الإمام علي عليه السلام في كتابه إلى الأشعث بن قيس: ((وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ، وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ))[٧].

العدالة المعلوماتيّة وكرامة الإنسان:

في عصر البيانات الضخمة والاحتكار الإعلامي، لم تعد العدالة محصورةً في الخبز والمسكن، بل اتسعت لتشمل حقّ المعرفة، وقد أكّد أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الشفافية حقٌّ للمجتمع، كما أنّ تقسيمه الناس إلى (أخٍ لك في الدين) أو (نظيرٍ لك في الخلق) يدحض كلّ أشكال التمييز الديني والعرقي والطبقي، فالإنسان في المنطق العلوي يمتلك كرامةً ذاتيّة جوهرية، بصرف النظر عن قيمته الاقتصادية؛ وهذا ما تغفله الرأسماليّة النيوليبرالية غالباً.

الكرامة الذاتيّة:

رغم أنّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام (١٩٤٨) يشدّد على الكرامة، فإنّ التطبيق غالباً ما يخضع لمصالح الدول، أمّا المنظور العلوي فيستند إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ [الاسراء:٧٠]، وهذه كرامة تكوينية ذاتيّة، لا تمنحها الدولة ولا تملك حق سلبها، ويقول جورج جرداق في كتابه (الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة): "عليّ بن أبي طالب أوّل من طرح المساواة الإنسانيّة لا ككتيك سياسي، بل كحقيقة من حقائق الخلق".

خلاصة الحديث:

إنّ إعادة قراءة عدالة الإمام علي عليه السلام، في عالم اليوم، ليست مجرّد استرجاع تاريخي، بل هي وصفة علاجية لأزمات الإنسان المعاصر، ويكمن الفرق الجوهري بين النماذج الغربية مثل أنموذج رولز والأنموذج العلوي في أنّ العدالة هناك أشبه بعقد تجاري لتقاسم المنافع، بينما هي في الرؤية العلويّة متجذّرة في الأخلاق والوجدان وقوانين الوجود، وعليه، فإنّ العدالة لن تتحقّق ما دام الحكّام لم يزكّوا أنفسهم، وما دام تراكم الثروة ينتج فقراء جدداً.

إنّ الخلاص من مأزق اللامساواة الحديثة يبدأ بالارتقاء بالعدالة من كونها قانوناً وضعيّاً لتصبح ميزاناً إلهياً تتكامل فيه عمارة الدنيا مع السمو الروحي للإنسان نحو الحياة الطيبة.

---

١. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٣/ ١٨٣٨
٢. محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: ٤/ ٣٢٢.
٣. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٣/ ١٨٣٨.
٤. المصدر نفسه: ٢/ ٩٣٧.
٥. نهج البلاغة الحكمة ٣٢٨.
٦. الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٦/ ١٥١.
٧. نهج البلاغة، الرسالة رقم (٥).



فضائل علوية

كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يُذكّر القوم – ومنذ اللحظة الأولى التي أُرسل فيها وتقلد مقاليد النبوة – بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومنزلته عند الله جلّ وعلا ،وعند رسوله ﷺ ؛ فقد كان يُبيّن عبر مجالسِه العامة والخاصة فضائلَه التي لا تحصى، وجزاءَ من يذكرها ويستمع إليها، بل حتى من ينظر إليها.

فقد روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه محمد بن علي، عن آبائه الصادقين عليهم السلام، قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى جعل لأخي علي بن أبي طالب فضائل لا يحصي عددها غيره، فمن ذكر فضيلة من فضائله مُقراً بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين.

ومن كتب فضيلة من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم.

ومن استمع إلى فضيلة من فضائله، غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع.

ومن نظر إلى كتابة في فضائله، غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر.

ثم قال رسول الله ﷺ: النظر إلى علي بن أبي طالب عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه)).

(الشيخ الصدوق، الأمالي: ٢٠١)

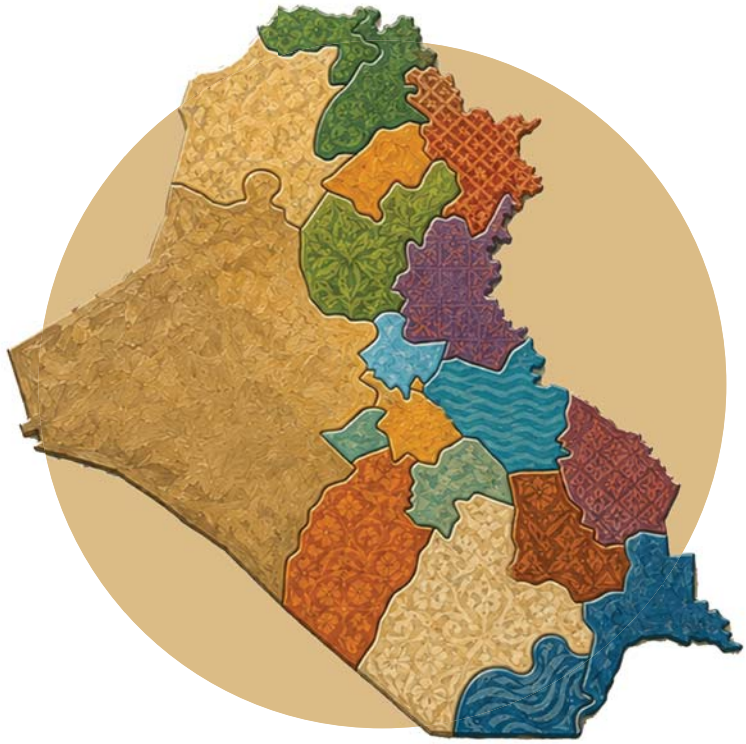
الشرق والغرب

- التنوع في العراق قوة دافعة نحو التماسك والتنمية الاجتماعية

د. علي موسى الموسوي
متخصص في شؤون الحوار التنويري الإنساني - النرويج

- الأرخبيل الذي احتضن الذاكرة الشيعية: قراءة في الجذور والتحولات

الباحث: مصطفى الحسيني
العتبة الحسينية المقدسة



التنوع في العراق.. قوة دافعة نحو التماسك والتنمية الاجتماعية

د. علي موسى الموسوي
متخصص في شؤون الحوار التنويري الإنسانيّ - النرويج

العراق بتركيبته السكانية والثقافية الغنية والمتنوعة يمثل أنموذجًا فريدًا، يجسد التعايش بين مختلف الثقافات والطوائف، وعلى الرغم من التحديات التي قد تفرضها هذه التركيبة فإنها تحمل في طياتها إمكانات هائلة، يمكن أن تسهم في تعزيز التنمية الاجتماعية والإقتصادية ودعم وحدة النسيج الوطني تحت شعار "التنوع الثقافي قوة للتعايش" كانت لي فرصة

البحث والنقاش خلال محاضرة ألقيتها في المركز الثقافي العراقي في بريطانيا، وقد جمعتني بالدكتور عبد الحسين الطائي وعدد من الشخصيات الثقافية والأكاديمية، وتناولنا في المحاضرة أهمية النظر إلى التنوع بوصفه قاعدة انطلاق لبناء عراق أكثر استقرارًا وانفتاحًا، والتنوع هو في جوهره ثروة وطنية، يمكن أن تكون أحد أبرز محركات التنمية المستدامة إذا ما أُحسِن استثمار التنوع وإنه عنصر رئيس لبناء مجتمع يعترف بقيم التعددية، ويحتفي بها، ويعمل على تحويل الاختلاف إلى مصدر إلهام وقوة، والفاعل في هذه الجلسة لم يقتصر على النقاش الأكاديمي وإنما شارك فيها أيضًا وزير الصحة العراقي السابق الدكتور جعفر علاوي، الذي سلط الضوء على دور المؤسسات الرسمية في تبني سياسات تعزز من روح التوافق بين مكونات المجتمع، كما قدّم الدكتور قصي الأحمدي الملحق الثقافي العراقي في بريطانيا رؤى مهمة حول سبل الاستفادة من الخبرات العلمية والثقافية للمغتربين العراقيين، لتعميق الترابط بين مكونات الأمة.

وقد اتسمت الجلسة بالحيوية مع العديد من المداخلات القيمة التي قدمتها شخصيات أكاديمية وثقافية، ممن أثروا النقاش وأكدوا أن التنوع العراقي يمكن أن يصبح عنصر بناء بدلاً من عامل انقسام، إذا ما توافرت إرادة صادقة وقوية للعمل الجماعي، ومع اختتام المحاضرة وجه الدكتور عبد الحميد الصائح مدير المركز الثقافي العراقي رسالة مهمة تلخص جوهر النقاش، فالتنوع الثقافي سلاح ذو حدين، وإذا لم يتم التعامل معه بحكمة فقد ينتج عنه تحديات جديدة إلا أنّ التركيز على نقاط القوة واستثمارها يعد الخيار الأمثل لتحقيق الانسجام المجتمعي والتطور الوطني.

وإن الحديث عن التنوع في العراق لا يمكن أن يُستنفد ضمن جلسة واحدة، فهو موضوع متشعب يرتبط بمختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية والفنية، لهذا السبب يجب أن تكون هناك استراتيجيات طويلة الأمد، تُعنى بتعزيز قيم الحوار واحترام الآخر إلى جانب برامج تعليمية وثقافية تُرسّخ مفهوم الوحدة الوطنية المبنية على التنوع

والتحدي الأكبر أمام العراق اليوم هو كيفية تحقيق المواءمة بين هذه التعددية والهوية الوطنية الجامعة، إنها معركة صعبة لكنها ليست مستحيلة، خاصة إذا ما تم توظيف الإرادة السياسية والإرث الثقافي العريق في خدمة التنمية وبناء مجتمع عادل ومتوازن، فليست الغاية هي ذوبان الاختلافات بل احترامها وجعلها جزءًا لا يتجزأ من الهوية الوطنية، التي يفخر بها كل عراقي بصرف النظر عن أصله أو طائفته.





الأرخبيل الذي احتضن الذاكرة الشيعية: قراءة في الجذور والتحولات

الباحث: مصطفى الحسيني
العتبة الحسينية المقدسة

في قلب منطقة جنوب شرقي آسيا، حيث تتناثر آلاف الجزر بين المحيطي الهندي والهادئ، تشكّلت واحدة من أكثر البيئات البشرية تعقيداً وتنوعاً في العالم، ألا وهي الأرخبيل الماليزي–الإندونيسي. فهذه المنطقة التي طالما وُصفت في كتب التأريخ بأنها "نقطة التقاء الحضارات"[1]،وكانت فضاءً واسعاً لتلاقح الأفكار الدينية والمذاهب الفكرية، وفي مقدمتها المذهب الشيعي الذي ترك بصمات عميقة ومتداخلة في البنية الثقافية والأدبية والسياسية للمنطقة.

ومن هنا يتتبع هذا المقال، مسار الانتشار الإسلامي الشيعي في الأرخبيل، بوصفه شبكة ممتدة من التفاعلات الفكرية، والحكايات الشعبية، والرموز الأدبية، إلى جانب التحولات السياسية التي أعادت تشكيل جزء من الذاكرة الثقافية لجنوب شرق آسيا.

أولاً: الجذور التاريخية للتداخل الفارسي–الشيعي في آسيا

لا يمكن فهم حضور مذهب آل البيت الأطهار عليهم السلام في الأرخبيل من دون العودة إلى الجذور الكبرى لتشكل الهوية الشيعية في بلاد فارس نفسها، فمنذ قيام الدولة الصفوية في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، وتحديداً مع الشاه

"إسماعيل الأول"، بدأ التشيع الاثنا عشري يتحول إلى مذهب رسمي للدولة، ما أدى إلى إعادة صياغة البنية الدينية والثقافية في إيران، ومن ثم امتداد هذا الأنموذج إلى محيطه الإقليمي الأوسع.

وقد تزامن ذلك مع توسع النفوذ الفارسي في منطقة آسيا الوسطى وشبه القارة الهندية، إذ كانت اللغة الفارسية لقرون طويلة، لغة الإدارة والأدب والعلم في البلاطات الإسلامية، مما جعلها قناة رئيسة لانتقال الأفكار والمفاهيم الدينية والفلسفية.

ومع انطلاق الحملة الأفشارية بقيادة "نادر شاه" للهند في القرن الثامن عشر[٢]، تعززت هذه الروابط الثقافية، وازدادت حركة التبادل بين الهند وإيران، لتتحول المنطقة إلى جسر حضاري ممتد يصل بين الشرق الأوسط وشرق آسيا، بما في ذلك الأرخبيل الماليزي–الإندونيسي.

ثانياً: اللغات بوصفها جسوراً للعقيدة والثقافة

يُجمع الباحثون على أن انتشار التشيع الإمامي في جنوب شرق آسيا كان نتيجة ما يمكن تسميته بـ"القوة الناعمة اللغوية"، فقد أثرت أربع لغات أثرا محورياً في تشكيل الوعي الديني والثقافي في المنطقة[٣]، وهي العربية، والفارسية، والتركية، والماليزية، إلا أن اللغة الفارسية، على وجه الخصوص، تمتعت بمكانة استثنائية، إذ كانت لغة الشعر الصوفي، والفكر الفلسفي، والنصوص الأخلاقية، وهو ما جعلها قادرة على اختراق البنية الثقافية للمجتمعات الإسلامية في الهند وماليزيا وإندونيسيا على حد سواء.

وقد أشار عدد من الباحثين إلى أن هذا الامتداد اللغوي لم يكن مجرد انتقال مفردات، وإنما كان انتقالاً لمنظومة رمزية كاملة تحمل معها تصورات عن الحب الإلهي، والعدالة، والولاية، ومفاهيم الوجود.

ثالثاً: الأدب الصوفي الفارسي في الوعي الماليزي–الإندونيسي

وكان من أبرز مظاهر التأثير الفارسي في الأرخبيل، حضور الشعر الصوفي الكلاسيكي في الذاكرة الأدبية المحلية، فقد حظي شعراء كبار مثل فريد الدين العَطّار (٦١٨ - ٥٤٠ هـ) الملقّب بـ "صيدلاني نيشاپور"، وسعدي الشيرازي (١٢١٠–١٢٩١م) الملقّب بـ "سيد الكلام"، وعبد الرحمن الجامي (٨١٧ - ٨٩٨ هـ) الملقّب بـ"أبو البركات"، بمكانة اجتماعية في بعض الأوساط.

وتشير الشواهد التاريخية إلى أن بعض نصوص هؤلاء الشعراء نُقشت على شواهد قبور في شمال جزيرة سومطرة، وهو ما يدل على مدى التداخل بين الأدب الفارسي والطقوس الجنائزية المحلية.

رابعاً: الحكايات الشعبية بوصفها ذاكرة شيعية خفية

إلى جانب الأدب الصوفي، لعبت الحكايات

الشعبية المعروفة باسم"حكاياتHikayat "، دوراً محورياً في نقل الموروث الشيعي إلى المجتمعات المحلية، وتعد "حكاية محمد بن الحنفية" من أبرز هذه النصوص، إذ تقدم سرداً درامياً لموقعة كربلاء وما تلاها من أحداث مأساوية [٤].

ووفقاً للمصادر، فهذه الحكايات كانت أدوات تربوية ودينية تعيد إنتاج الذاكرة الجماعية للشيعة في قالب شعبي مفهوم لدى المجتمعات المحلية.

ومع مرور الزمن، اندمجت هذه السرديات في الطقوس المحلية، مثل "مراسيم تابوت" العزائية في جزيرة سومطرة الغربية، التي ما تزال تُقام حتى يومنا الحاضر كنوع من إحياء ذكرى استشهاد سبط النبي الأكرم، الإمام الحسين بن علي (صلوات الله عليهم).

واللافت أن بعض اللغات المحلية، مثل لغة "آتشيه"، قد احتفظت بأسماء مشتقة من هذه الرموز، إذ يُشار إلى شهر محرم باسم يرتبط بالإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، ما يدل على عمق التداخل الرمزي بين الدين واللغة.

خامساً: التشيع في البنية السياسية لجنوب شرقي آسيا

لم يقتصر التأثير الفارسي–الشيعي على الأدب والطقوس، بل امتد إلى المجال السياسي، إذ تشير المراجع المُثْبَتَة إلى أن شخصيات فارسية قد أدت أدواراً محورية في البلاطات الملكية في مملكة سيام (تايلاند الحالية)، والتي كان من أبرزها الشيخ أحمد القمي (١٥٤٣- ١٦٥٧م)، الذي أصبح لاحقاً أول من سمي بـ "شيخ الإسلام" في البلاط الملكي السيامي.

وقد أسس هذا الحضور أنموذجاً فريداً للتعايش بين الإسلام والملكية في جنوب شرق آسيا، إذ تحولت بعض العائلات ذات الأصول الفارسية إلى طبقة سياسية واقتصادية مؤثرة، استمرت قروناً من الزمن، كما يدل هذا الامتداد السياسي على قدرة المذهب الشيعي على التكيف مع السياقات المحلية، وإعادة إنتاج نفسه ضمن هياكل السلطة التقليدية في المنطقة.

سادساً: التحولات المعاصرة وإعادة اكتشاف الهوية

وفي القرن الحادي والعشرين، عاد الاهتمام بالتشيع الفارسي في الأرخبيل ضمن سياق أكاديمي وفكري جديد، ففي إندونيسيا، وعلى الرغم من بعض التوترات السياسية والدينية، برزت حركة فكرية واسعة أعادت قراءة التراث الشيعي من منظور أكاديمي.

وقد أسهمت الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩ في تعزيز هذا الاهتمام، عبر إرسال طلاب وباحثين محليين إلى الحوزات العلمية في إيران، ما أدى إلى عودة تيارات فكرية جديدة إلى الجامعات الإندونيسية، إذ أصبح من الشائع اليوم تدريس أعمال فلاسفة منهم ملا صدرا (٩٨٠-١٠٥٠هـ)، ومفكرين منهم علي شريعتي (١٣٥٢ -١٣٩٧ هـ)، وفقهاء منهم محمد حسين الطباطبائي

(١٣٢١ - ١٤٠٢ هـ)، ضمن برامج الدراسات الإسلامية والفلسفية.

وقد ظهرت مؤسسات فكرية وجمعيات ثقافية تهدف إلى إعادة إحياء التراث الشيعي ضمن إطار مدني وفكري، بعيداً عن التوظيف السياسي المباشر.

سابعاً: ثلاثية الدراسات الحديثة في التشيع في الأرخبيل

يمكن تصنيف الدراسات المعاصرة في هذا الموضوع إلى ثلاث اتجاهات رئيسية:

الاتجاه التاريخي– الثقافي الذي يركز على تتبع الأثر الفارسي في النصوص والآثار الأدبية.

الاتجاه الأنثروبولوجي– الديني الذي يدرس الطقوس والممارسات الاجتماعية بوصفها تمثيلاً لهويات دينية متداخلة.

الاتجاه السياسي– الاجتماعي الذي يحلل وضع الأقليات الشيعية في السياقات القانونية والسياسية المعاصرة.

وتمثّل هذه الاتجاهات مجتمعةً، تحولاً في طريقة فهم التشيع، من كونه ظاهرة دينية محضة إلى كونه بنية ثقافية–اجتماعية متعددة الأبعاد.

خاتمة: من المحيط إلى الذاكرة

إنّ تتبع مسار التشيع في الأرخبيل الماليزي– الإندونيسي يكشف عن قصة أعمق من مجرد انتشار مذهبي، فهي قصة انتقال حضاري طويل عبر البحار واللغات والنصوص والحكايات، إذ تداخلت الروح الصوفية مع الذاكرة الشعبية، وتقاطعت السياسة مع الأدب، وتحوّلت الأفكار إلى طقوس، والطقوس إلى هوية.

وفي نهاية المطاف، يبدو أنّ المذهب الإمامي في هذه المنطقة أصبح جزءاً من النسيج الداخلي للثقافة المحلية، يتجدد باستمرار بين الماضي والحاضر، وبين الذاكرة والتأويل، وبين التاريخ وإعادة قراءته في ضوء الحاضر.

---

١. أحمد عياش: بعد أفغانستان... الإسلام إلى أين؟ نظرة إلى الإسلام بعد أفغانستان: ٩٦.
٢. مسجد، دانيشغار: دراسة التشيع الفارسي في العالم الملاوي الإندونيسي: مراجعة للأدبيات من القرن التاسع عشر فصاعداً (مترجم): ١٩٢.
٣. المصدر نفسه.
٤. المصدر نفسه: ١٩٥.

حوار العدد

- حوار مع الدكتور علي البوجديديّ الأستاذ في جامعة قابس، (الجمهوريّة التّونسيّة)، والمختصّ في الأدب العربيّ القديم والكوديكولوجيا وعلوم المخطوط

حاوره: هاشم الباجي



في حواره مع مجلة الولاية الدكتور علي البوجديديّ: إنّ العتبات المقدّسة في العالم الإسلاميّ، ولا سيّما في العراق، تؤدّي اليوم دورًا محوريًّا في صون التّراث الإسلاميّ.

حاوره: هاشم الباججي

الركيزة الأساسية لهوية الأمم هو تراثها الفكري والثقافي؛ لأنه يربط الماضي بالحاضر ويمثل الذاكرة الحية للفرد والمجتمع، ويسهم هذا الإرث في صياغة الشخصية الفكرية وامتدادها العلمي والمعرفي، إذ يعزز الانتماء للأمّة وهويتها الثقافية والعلمية، ومن هذا المنطلق جرى الحديث مع الدكتور التونسي علي البوجديديّ الاستاذ في جامعة قابس، (الجمهوريّة التّونسيّة)، والمختصّ في الأدب العربيّ القديم والكوديكولوجيا وعلوم المخطوط،، فكان لنا معه هذا الحوار المطول عن التراث الإسلامي.

في البدء نبذة عن سيرتكم العلميّة؟

علي البوجديديّ، أستاذ جامعيّ يدرّس بالمعهد العالي للعلوم الإنسانيّة بمدنين، جامعة قابس، (الجمهوريّة التّونسيّة)، مختصّ في الأدب العربيّ القديم والكوديكولوجيا وعلوم المخطوط، ومهتمّ بسيميائيّات المرئيّ، والتّراث الشّعبيّ، متحصّل على الإجازة في اللّغة والآداب العربيّة من كليّة الآداب بمنّوبة سنة ١٩٩٤، وعلى شهادة الماجستير في الأدب الحديث من كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس سنة ٢٠٠٨، وحائز على شهادة الدّكتوراه في الأدب العربيّ القديم من كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس سنة ٢٠١٧ بملاحظة مشرّف جدّا، وعنوانها: السّخرية في أدب الجاحظ.

لي بحمد الله كُتب عديدة من أهمّها كتاب: السّخرية في أدب علي الدّوعاجيّ: تجلّياتها ووظائفها، وكتاب: المحاكاة السّاخرة (ترجمة) عن مركز النّشر الجامعيّ، وكتاب: السّخرية في أدب الجاحظ عن دار كنوز (الأردن)، وكتاب مقالات بعنوان: دراسات في بلاغة الخطاب السّاخر عن دار كنوز المعرفة، وكتاب: الجسد الغروتسكيّ في الأدب العربيّ القديم عن الدّار التّونسيّة للكتاب.

كيف تقيّمون واقع التّراث الإسلاميّ؟

الحقيقة أنّ التّراث المخطوط الإسلاميّ يمثّل أحد أكبر الأرصدة الوثائقيّة في تاريخ الحضارات قاطبة، وهو واحد من أغنى الأرشيفات تنوّعا ومحتوى، فقد خلّف المسلمون عبر أكثر من أربعة عشر قرنًا ملايين الوثائق والمخطوطات في مختلف العلوم والآداب والفنون، وتنتشر هذه المادّة التّراثيّة المتنامية اليوم في مكتبات العالم الإسلاميّ وخارجه، وتتوزّع كميّات كبيرة منها في مجموعات خاصّة وضمن خزائن عائليّة وزوايا ومساجد، غير أنّ هذا التّراث المخطوط يُواجه تحدّيات عدّة، إذْ تشتّتت المخطوطات الإسلاميّة وتعرَّضت إلى الانتقال المستمرّ بفعل الرّحلات العلميّة والهبات والأوقاف، فضلا عن الجوائح والحروب وأيادي الاستعمار، وما راج من تجارة الكتب والمخطوطات المشروعة منها وغير المشروعة، لهذا نجد اليوم أجزاء من المجموعة الواحدة موزَّعة بين بغداد وتونس والقاهرة وإسطنبول وباريس ولندن وبرلين وغيرها.

ما السّبل للحفاظ على التّراث المادّي وغير المادّي وصَوْنه؟

لم تعد المحافظة على التّراث المادّي وغير المادّي وصونه، حسب رأيي اليوم، مجرّد اهتمام ثقافيّ عابر، ولا محض ترف فكريّ ولا عملا اعتباطيّا، بل أضحت قضيّة حضاريّة ومسألة مصيريّة، وباتت حاجة تنمويّة ملحّة تتعلّق شديد التعلّق بالهويّة والذّاكرة الجماعيّة وحقوق الأجيال القادمة في ثقافة أصيلة لا هُجنة فيها، وتقتضي هذه

المحافظة اعتماد مقاربة شاملة تجمع بين الحِفْظ والتّوثيق، وتُولي الدّراسة والتّثمين والإتاحة كلّ الأهميّة.

فالتّصوير الفوتوغرافيّ والوصف العلميّ، مهم جداً ، فما لم يُجرد ويُوثّق يبقى معرّضًا للضّياع أو النّسيان، وتسهر أفرقة الفهرسة في مجال المخطوطات والوثائق على إعداد فهارس علميّة حديثة، معتمدة في عملها على معايير الوصف الدّوليّة، من دون أن تُغفِل إدراج البيانات الكوديكولوجيّة والتّاريخيّة صلب عملها، وقد يسّرت الفهرسة العلميّة الوصول إلى التّراث ومكّنت من استثماره علميّا.

وبات من الواجب اليوم لحفظ التّراث الإسلاميّ المخطوط، المسارعة بتصوير المخطوطات ضوئيّا، بما يمكّن من حفظها ويوفّر نُسخاً احتياطيّة منها، ويُقلّل فضلاً عن ذلك تداول أصولها، وستسهّل مشاريع التّصوير الضّوئيّ ورقمنة المعطيات ووضعها ضمن قواعد بيانات مخصوصة عمليّة النّفاذ إلى المادّة التّراثيّة المخطوطة، وهذا ما سيضمن استمراريّة المعرفة في حال فقدان الأصل، ولهذا عدّت مشاريع الرّقمنة ركيزة أساسيّة في حماية المخطوطات والوثائق، وهو المشروع الذي انخرطنا فيه في إطار الشّراكة مع المكتبة البريطانيّة للمخطوطات العربيّة والإسلاميّة (٢٠١٧ – ٢٠٢٦)، وضمن المشروع الدّوليّ الأرشيفات المهدّدة بالانقراض (EAP).

بصفتكم متخصصاً في التراث، ما الفرق بين مصطلحيْ التّصوير الضّوئيّ والرّقمنة التي يتم عن طريقها حفظ التراث ونشره اليوم ؟

كثيراً ما يُستعمل أحدهما بديلاً عن الآخر، مع أنّ بينهما فروقاً جوهريّة في المفهوم والأهداف والنّتائج، فتصوير المخطوطات ضوئيّا (Manuscript Imaging) عمليّة تقنيّة تهدف إلى إنتاج صورة رقميّة عالية الجودة لصفحات المخطوط وذلك باستخدام كاميرات احترافيّة أو ماسحات ضوئيّة مخصّصة للمواد التّراثيّة، وتنصبّ هذه العمليّة التّقنيّة الدّقيقة على جوانب المخطوط البصريّة، وتسعى إلى نقل محتواه وهيئته الماديّة إلى صور تُحافظ على أدقّ تفاصيله، من قبيل إبراز لون الورق، ونسيجه، وإظهار الأحبار، والعلامات المائيّة، وآثار التّجليد، وما قد يعتري النّسخة المخطوطة من تآكل، وما قد يظهر عليها من هوامش، وتمليكات وأختام مختلفة.

وأمّا رقمنة المخطوطات (Manuscript Digitization)، فمفهوم أشمل وأوسع من مجرد التّصوير؛ إذ تمثّل الرّقمنة مشروعًا متكاملًا يهدف إلى تحويل المخطوط من وعاء ماديّ إلى مورد رقميّ قابل للحفظ والإدارة والبحث والإتاحة والاستثمار العلميّ، ولذلك تبدأ الرّقمنة عادة بالتّصوير الضّوئيّ، لكنّها لا تنتهي عنده، وإنما تشمل سلسلة من العمليّات العلميّة والتّقنيّة، من قبيل إعداد المخطوط وتجهيزه للتّصوير وفق معايير الحفظ الوقائيّ، وهي مرحلة

ضروريّة تمهيديّة تمكِّن من إنتاج صور رقميّة معياريّة وتساعد على حفظها بصيغ مخصّصة للأرشفة (من نوع Tagged Image File Format والذي يُعرف اختصارا بـ TIFF)، ويحرص العاملون في التّصوير الضّوئيّ كذلك على العناية بضبط الألوان ومراعاة المعايير التّقنيّة في التّصوير وذلك لضمان مطابقة الصّورة للأصل، ويهتمّون بإنشاء البيانات الوصفيّة (Meta Data)، التي تتضمّن المعلومات الببليوغرافيّة والكوديكولوجيّة والإداريّة والفنيّة لكلّ مخطوط مصوّر، وهم الذين يعمدون إلى تنظيم الملفّات وربطها بقواعد بيانات أو مستودعات رقميّة مثل مستودع مخطوطات المكتبة البريطانيّة، ويوفّرون فهرسة المخطوط وربطه بمحرّكات البحث والمنصّات الرّقميّة، ويمكّنون من إتاحة الصّور والبيانات للباحثين عبر المكتبات الرقميّة مع ضمان الحفظ الرّقمي طويل الأمد.

ومن هنا يتبيّن لنا أنّ التّصوير الضّوئيّ مرحلة أوليّة داخل مشروع الرّقمنة، وليس مرادفًا لها؛ فكلّ مشروع رقمنة يتضمّن تصويرًا، ولكنْ ليس كلّ تصوير يُعدّ رقمنة.

ما أبرز الحواضر الإسلاميّة في التّراث الإسلاميّ؟

تمثّل الحواضر الإسلاميّة الرّكائز الأساسيّة التي تشكّل فيها التّراث الإسلاميّ بمختلف تجلّياته الماديّة وغير الماديّة، فقد كانت هذه المدن مراكز للسّلطة والعلم والاقتصاد والثّقافة، ومنها انطلقت حركات التّأليف والنّسخ والتّرجمة والتّعليم، وفيها نشأت المكتبات والخزائن والمدارس والزّوايا والأوقاف، ولم يكن ازدهار الحضارة الإسلاميّة مرتبطًا بالدّولة وحدها، بل ارتهن كذلك بازدهار هذه الحواضر التي احتضنت العلماء والفقهاء والأدباء والنسّاخ والحرفيّين، وأسهمت في إنتاج المعرفة وتداولها عبر الأقاليم الإسلاميّة، وليست غايتنا في هذا المقام ذكر كلّ الحواضر الإسلاميّة، بقدر ما نودّ الإشارة إلى بعضها ونعرّف بأهمّ إسهاماتها.

تحوّلت النّجف إلى أحد أهمّ مراكز الحوزات العلميّة في العالم الإسلاميّ الشّيعيّ، فنشأت فيها منظومة تعليم دينيّ متكاملة تعتمد على دراسة الفقه وأصوله والحديث والكلام والفلسفة، وبرزت فيها أسماء كبرى منها الشّيخ الطّوسيّ، والنّجاشيّ، والعلاّمة الحليّ، الذين أسّسوا تقاليد علميّة ما تزال ممتدّة بجذورها إلى اليوم.

وفي هذا الصّدد تأتي بغداد في مقدّمة الحواضر الإسلاميّة ومن أهمّها إسهاماً في إنتاج التّراث العلميّ، فمنذ أن تأسست سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، سرعان ما أصبحت مركز العالم الإسلاميّ الفكريّ وقطبه العلميّ، وفيها وُلدت مؤسّسة بيت الحكمة

التي أشرفت على حركة التّرجمة من اليونانيّة والفارسيّة والسّريانيّة إلى العربيّة، وقد وصفها ياقوت الحمويّ بقوله: «أمّ الدّنيا وسيّدة البلاد»، في إشارة إلى مكانتها العلميّة والحضاريّة، ومن بغداد خرجت مؤلّفات كبرى في الطبّ والفلك والرّياضيّات والفلسفة واللّغة والأدب.

وتُعدّ الكوفة من أقدم حواضر العراق العلميّة وأعرقها، وهي التي ارتبطت بعلوم القرآن والقراءات والحديث، وبعلوم بالفقه واللّغة العربيّة، حتّى قيل إنّها كانت منبعًا لعلوم العربيّة الأولى ومهدها، وقد شهدت الكوفة نشاطًا علميّا كثيفًا في القرون الأولى، وبرزت فيها مدارس نحويّة ولغويّة منافسة للبصرة، واحتضنت حلقات علميّة في التّفسير وعلوم الحديث، ويرتبط اسمها بعدد كبير من أعلام التّراث الإسلاميّ ، أبرزهم الإمام علي بن أبي طالب الذي اتّخذها عاصمة للخلافة، ممّا منحها مكانة دينيّة مركزيّة في التّاريخ الإسلاميّ المبكّر، واحتفظت الكوفة أيضاً بدور مهمّ في حفظ الرّوايات الدّينيّة واللّغويّة، وكانت من أهمّ مراكز نقل الحديث والفقه، الأمر الذي جعلها أحد منابع التّراث المكتوب في الإسلام المبكّر، رغم ما تعرضّت له من تحوّلات سياسيّة عاصفة لاحقاً، وكذلك مدينة النجف الاشرف بتراثها العلمي والفكري.

كيف تقرأ مدينة النجف الأشرف وتراثها الفكري؟

أمّا النّجف الأشرف، فلم تكنْ بعيدة عن هذا الحراك، فقد اكتسبت المدينة مكانتها الكبرى بسبب احتضانها لمشهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وفيها يُوجد مرقده في العتبة العلويّة المقدّسة، وهو ما جعلها منذ قرون طويلة مركزًا دينيّا وروحيّا مهمًّا، ومزارا ثقافيّا علميّا مشهوداً، وقد تحوّلت النّجف إلى أحد أهمّ مراكز الحوزات العلميّة في العالم الإسلاميّ الشّيعيّ، فنشأت فيها منظومة تعليم دينيّ متكاملة تعتمد على دراسة الفقه وأصوله والحديث والكلام والفلسفة، وبرزت فيها أسماء كبرى منها الشّيخ الطّوسيّ، والنّجاشيّ، والعلاّمة الحليّ، الذين أسّسوا تقاليد علميّة ما تزال ممتدّة بجذورها إلى اليوم.

وتتميّز النّجف فضلاً عن ذلك بكونها مركزًا لحفظ المخطوطات الدّينيّة والفقهيّة، وفي خزائنها تراكمت آلاف المؤلّفات في الفقه الإمامي وعلوم العربيّة والفلسفة الإسلاميّة، ممّا جعلها خزينة تراثيّة ذات طابع خاصّ داخل الحضارة الإسلاميّة، وبهذا تشكلت في النّجف تقاليد علميّة راسخة أسهمت في حفظ آلاف المخطوطات وتطوير العلوم الدّينيّة، فهي ليست مجرّد مزار دينيّ، وإنما مؤسّسة علميّة وثقافيّة عريقة أسهمت، عبر قرون، في جمع المخطوطات وصيانتها وفهرستها وإتاحتها للباحثين، وقد ارتبط هذا الدّور بمكانة مدينة النّجف

العلميّة بوصفها مقرّا للحوزة العلميّة، ومقصدًا للعلماء وطلاّب العلم ، وقد تعزّز رصيدها في العقود الأخيرة عبر الشّراء والإهداء والوقف، إلى جانب مشاريع التّوثيق والتّصوير الضّوئيّ، وشهدت العتبة العلويّة أيضاً تحوّلًا نوعيّا في إدارة التّراث المخطوط، إذ انتقلت من الاكتفاء بحفظ المجموعات إلى تبنّي برامج متخصّصة في الحفظ الوقائيّ، والتّرميم، والتّصوير الضّوئيّ، والفهرسة العلميّة، وإنشاء قواعد البيانات، بما ينسجم مع المعايير الدّولية لصون التّراث الوثائقيّ، وهي تعمل دائبة على تصوير المخطوطات رقميّا، وتوثيق بياناتها الكوديكولوجيّة، وإعداد فهارس علميّة، وتيسير الإفادة منها للباحثين، فضلًا عن تشجيع تحقيق النّصوص التّراثيّة ونشرها ضمن مشروعاتها العلميّة، وتُشير بيانات العتبة إلى أنّ مجموعاتها قد تجاوزت ثمانية آلاف مجلّد مخطوط، مع استمرار برامج الاقتناء والتّوثيق، وتستند هذه الجهود القيّمة إلى شبكة من المراكز والأقسام العلميّة المتخصّصة، من أبرزها مكتبة الرّوضة الحيدريّة، وهي أقدم مكتبات العتبة، وتُعرف أيضًا بالخزانة الغرويّة أو المكتبة العلويّة، وتعود جذورها إلى القرون الإسلاميّة الأولى ، ويُعد قسم الخزانة العلويّة للمخطوطات الجهة المسؤولة عن اقتناء المخطوطات وفهرستها وحفظها ومتابعة أعمال الصّيانة والرّقمنة فيها، إضافة إلى توثيق الأوقاف والإهداءات العلميّة، بينما يُعنَى مركز التّرميم والصّيانة بمعالجة المخطوطات المتضرّرة وفق أساليب علميّة حديثة، تشمل التّنظيف، وإزالة الأحماض، وتقوية الأوراق، وترميم الأغلفة، مع مراعاة مبادئ الحدّ الأدنى من التدخّل والمحافظة على أصالة الأثر، وتتولّى في مقابل ذلك وحدة الرّقمنة والأرشفة الإلكترونيّة تصوير المخطوطات بكاميرات احترافيّة، وتعمل على إنتاج ملفّات رقميّة عالية الجودة، يتمّ ربطها بالبيانات الوصفيّة، بما يضمَن حفظ النّسخ الرّقميّة ويُيسِّر إتاحتها مستقبلًا في بيئات بحثيّة آمنة.

وأمّا مركز التّحقيق والنّشر التّراثيّ، فهو مؤسّسة تعمل على تحقيق المخطوطات، وتجتهد في إخراجها في طبعات علميّة محكّمة، بما يُسهم في إحياء تراث النّجف العلميّ الإسلاميّ، وتتجاوز رسالة العتبة العلويّة حدود الحفظ المادّي للمخطوطات، إذ تسعى في المقابل إلى إحياء التّراث عبر تنظيم المؤتمرات، والنّدوات، والدّورات التّدريبيّة في علوم المخطوط والكوديكولوجيا، وإقامة شراكات مع الجامعات ومراكز البحث، فضلاً عن تشجيع الدّراسات الأكاديميّة المتعلّقة بالمخطوطات الإسلاميّة، وبهذا أصبحت العتبة العلويّة المقدّسة أنموذجًا للمؤسّسات الدّينيّة التي جمعت بين الوظيفة الرّوحيّة والرّسالة العلميّة، وأسهمت في صون ذاكرة الحضارة الإسلاميّة المكتوبة، وتحويلها إلى مورد معرفيّ متاح للأجيال الحاضرة وعلى ذمّة الباحثين المعاصرين.

وقد شكّلت هذه الحواضر الثّلاث منظومة تاريخيّة متكاملة: الكوفة مهد تأسيسيّ للعلوم، بغداد مركز الازدهار وموطن تدوين العلوم، والنّجف فضاء حفظ الذّاكرة وتواصل المدّ الرّوحي، وهو ما جعلها من أهمّ روافد التّراث الإسلاميّ عبر العصور.

هل يحظى التّراث الإسلامي بالدّعم الكافي المادّي والمعنويّ للحفاظ عليه وتطويره؟

يحظى التّراث الإسلاميّ اليوم باهتمام متزايد على المستويين الوطنيّ والدّوليّ، إلاّ أنّ هذا الاهتمام مايزال متفاوتًا من دولة إلى أخرى، وهو ما يرقى في كثير من الحالات إلى حجم الثّروة التّراثيّة التي يزخر بها العالم الإسلاميّ ولا إلى حجم التحدّيات التي تواجهها، ويمكن القول إنّ واقع الدّعم المادّي والمعنويّ يتّسم بالتّباين، فهناك مبادرات ومشروعات رائدة حقّقت نتائج مهمّة، يُقابلها نَقصٌ في التّمويل، وضعف في التّخطيط، وقلّة في الكفاءات المتخصّصة في بعض البلدان، غير أنّ العقود الأخيرة قد شهدت زيادة في حجم الاستثمارات الموجّهة إلى صون التّراث، ولا سيما في مجالات ترميم المعالم التّاريخيّة، وتصوير المخطوطات، وإنشاء المكتبات الرقميّة، وتطوير المختبرات المكرَّسة لحفظ الوثائق، وقد أسهمت مؤسّسات دوليّة في هذا الجهد، مثل منظّمة الأمم المتّحدة للتّربية والعلم والثّقافة (اليونسكو)، والمجلس الدّوليّ للأرشيف (International Council on Archives – ICA)، الذي يعد منذ تأسيسه سنة ١٩٤٨ بباريس من أهمّ المنظّمات الدّوليّة غير حكوميّة التّابعة لليونسكو، وهو يختصّ بتطوير علم الأرشيف وإدارة الوثائق وحفظ ذاكرة الإنسانيّة الوثائقيّة، وقد أصبح المرجع المهنيّ الرّئيس في وضع المعايير الدّولية الخاصّة بتنظيم الأرشيفات، ووصفها، وصيانتها، وإتاحتها، وتعزيز التّعاون بين مؤسّسات الأرشيف في مختلف دول العالم.

وقد بادرت بعض الدّول الإسلاميّة إلى إنشاء مراكز وطنيّة للتّرميم والرّقمنة، وسارعت بإطلاق مشاريع لجرد المجموعات التّراثيّة وتوثيقها توثيقا علميّا يُراعي المعايير الدّوليّة في الأرشفة.

ومع ذلك، يظلّ هذا الدّعم غير كافٍ في كثير من الحالات إذا ما قُورن بحجم التّراث الإسلاميّ الضّخم وانتشاره الجغرافيّ على رقعة واسعة، فما تزال آلاف المخطوطات محفوظة في مكتبات خاصّة أو مهملة بزوايا أو مساجد تفتقر إلى شروط الحفظ الوقائيّ.

ومن أبرز التّحدّيات التي تقلّص من فعاليّة الدّعم وتُضعفه، غياب السّياسات الوطنيّة المتكاملة في بعض الدّول، وضعف التّنسيق بين المؤسّسات المعنيّة، وقلّة الاستثمار في التخصّصات الدّقيقة المرتبطة بالمخطوطات والوثائق.

ما أهميّة المخطوطات التي خلّفها الأسلاف؟

تعدّ المخطوطات التي خلّفها الأسلاف والتي وصلتنا اليوم، أحد أهمّ أوعية الذّاكرة الجماعيّة الحضاريّة، ورصيد الأمّة الإسلاميّة الحَقيقُ بالدّرس، وهي ليست مجرّد نصوص قديمة ولا صحف صفراء بالية كُتبت على الرقّ أو البرديّ أو الورق أو على مختلف المحامل الأخرى، بل هي على خلاف ذلك شواهد ماديّة وفكريّة ناطقة مُبينة، توثّق مسيرة الحضارة الإسلاميّة عبر قرون طويلة.

وتتجلّى أهميّة المخطوطات، أوّلًا، في قيمتها العلميّة والمعرفيّة؛ إذْ حفظت لنا أمهّات الكتب في مختلف العلوم، ومنها علوم القرآن والحديث، والفقه، واللّغة، والأدب، والفلسفة، والطبّ، والفلك، والرّياضيّات، والكيمياء، والجغرافيا، والتّاريخ تراثنا الإسلاميّ وعزّزت مكانتنا في بناء لبنات الحضارة الكونيّة.

وثانيًا، في قيمتها التّاريخيّة؛ لأنّها توثّق الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة في العصور الإسلاميّة، فالهوامش، والتملّكات، والأوقاف، والإجازات العلميّة، وسماعات الكتب، والأختام، والتّعليقات التي تتضمّنها المخطوطات، تمثّل وثائق تاريخيّة فريدة تكشف عن حركة العلماء.

وثالثاً، تتمتّع المخطوطات بقيمة كوديكولوجيّة وفنيّة، لأنّها تمثّل أثرًا ماديًّا دالاّ يمثّل تطوّر صناعة الكتاب في

> **إنّ تجربة العتبات المقدّسة في رأينا من أنجح التّجارب المعاصرة في صون التّراث الإسلاميّ، لأنّها استطاعت أن تنتقل من مفهوم الحفظ التّقليديّ إلى مفهوم الإدارة المتكاملة للتّراث .**

الحضارة الإسلاميّة، فعن طريق دراسة الورق، والأحبار، والخطوط، والتّجليد، والزّخرفة، والعلامات المائيّة، يمكن تتبّع تطوّر تقنيّات صناعة المخطوط، والتعرّف إلى المدارس الخطيّة.

كيف يمكن الإستفادة من التّراث سيّما المخطوطات في تطوير الواقع المعرفيّ والعلميّ اليوم؟

لم تعد تقتصر أوجه الاستفادة من التّراث الإسلاميّ المخطوط، على تحقيق النّصوص القديمة أو حفظها في خزائن المكتبات، وإنما أضحت ركيزة أساسيّة في بناء المعرفة المعاصرة ودعامة صُلبة في تطوير البحث العلميّ، ذلك أنّ المخطوطات، هي مستودع الخبرات الإنسانيّة والتّجارب العلميّة والفكريّة التي راكمتها الحضارة الإسلاميّة عبر قرون، ويمكن إعادة توظيفها في ضوء المناهج الحديثة، وبهدي من التّقنيّات الرّقمية لخدمة الحاضر واستشراف المستقبل.

وتبدأ أوجُه الاستفادة من التّراث بإحياء

النّصوص المخطوطة وتحقيقها تحقيقًا علميًّا، لأنّ آلاف المؤلّفات ما تزال محفوظة في صورة مخطوطات لم تُنشر بعد، وبعضها يمثّل مصادر فريدة في سائر العلوم وفي شتّى الفنون، ويؤدّي تحقيق هذه النّصوص إلى استكمال تاريخ العلوم الإسلاميّة، وتصحيح كثير من الأحكام التي بُنيت على مصادر ناقصة أو مطبوعة طبعات غير محقّقة، كما تتيح إعادة اكتشاف أفكار ونظريّات وأساليب علميّة قد تُسهم في إثراء الدّراسات المعاصرة.

ما أبرز التحدّيات التي تواجهكم بصفتكم مختصّين بالتّراث؟

يُواجه المختصّون في التّراث، ولا سيّما العاملون في مجال المخطوطات والوثائق والآثار والتّراث غير المادّي، تحدّيات متزايدة فرضتها التحوّلات التّقنيّة واستدعتها الظّروف الاقتصاديّة والسّياسيّة التي شهدها العالم المعاصر، ومن أبرز هذه التحدّيات تدهور حالة المقتنيات التّراثيّة نتيجة تقادم الزّمن، وارتفاع درجات الحرارة وانتشار الرّطوبة والأكسدة، والتلوّث البيئيّ، ونشاط الحشرات والأرضة والفطريّات، وسوء ظروف التّخزين والحفظ والأرشفة، وتُعدّ المخطوطات الورقيّة من أكثر المواد تعرّضًا لهذه المخاطر وأشدّها هشاشة بفعل هذه الغوائل، إذْ يؤدّي ضعف الحفظ الوقائيّ إلى تلف الأوراق وتكلّسها، وتآكل الأحبار وتلاشيها ومحوها، وتشوّه الأغلفة وتقصّفها، وفقدان أجزاء من النّصوص وتبعثرها، الأمر الذي يستدعي تدخّلًا عاجلا متخصِّصًا في مجالات الصّيانة والتّرميم.

ويمثّل نقص الموارد الماليّة أحد أكبر العوائق أمام المؤسّسات التّراثيّة، إذْ تتطلّب عمليّات الصّيانة والإنقاذ إنشاء مختبرات مختصّة مجهّزة، وتستدعي تشييد المخازن على وفق المعايير الدّوليّة، وجلب استثمارات كبيرة لا تستطيع كثير من المؤسّسات، ولا سيما في الدّول النّامية، توفيرها بصورة مستدامة، ويؤثر هذا النّقص في محدوديّة البرامج البحثيّة، وتأخّر مشاريع التّوثيق والحفظ. ويُضاف إلى ذلك نُدرة الكفاءات المتخصّصة في علوم الكوديكولوجيا، والتّرميم، وإدارة الأرشيف، والرّقمنة، والحفظ الرّقميّ.

هل زرتم العتبات المقدّسة في العراق؟

كان لي شرف زيارة العتبات المقدّسة في العراق بمناسبة المشاركة في المؤتمر العلميّ الدّوليّ الثّامن لزيارة الأربعين بالعراق في شهر آب ٢٠٢٤، وقدّمت بالمناسبة مداخلة عنوانها: الحسين قناعاً ورمزاً شعريّا: قراءة في نماذج من الشّعر العربيّ المعاصر، ومثّلت هذه الزّيارة مناسبة فريدة عشت خلالها أجواء الاحتفال بزيارة الأربعين واطّلعت فيها على رصيد العتبات من مكتبات ومتاحف ومخطوطات، وتابعت ما يشهده النّجف الأشرف وكربلاء من نهضة عمرانيّة وثقافيّة مميّزة.

وما رأيكم بعمل العتبات في الحفاظ على التّراث الإسلاميّ؟

يمكن القول: إنّ العتبات المقدّسة في العالم الإسلاميّ، ولا سيّما في العراق، تؤدّي اليوم دورًا محوريًّا في صون التّراث الإسلاميّ، حتّى أصبحت بعض هذه المؤسّسات من أبرز المراكز المتخصّصة في حفظ المخطوطات والوثائق الدّينيّة والتّاريخيّة، إلى جانب رسالتها الدّينيّة والرّوحيّة، وقد انتقلت كثير من العتبات خلال العقود الأخيرة من الاقتصار على حفظ المجموعات التّراثية إلى تبنّي رؤية مؤسّسيّة متكاملة أسهمت في إنقاذ آلاف المخطوطات النّادرة من التّلف وحمتها من غائلة الضّياع.

وتبرز العتبة العلويّة المقدّسة أنموذجًا رائدًا في هذا المجال؛ إذ نجحت في إنشاء منظومة متخصّصة لحفظ المخطوطات تضمّ الخزانة العلويّة، ومختبرات للتّرميم، ووحدات للرّقمنة، وأقسامًا للفهرسة والتّوثيق، فضلًا عن مشروعات لتحقيق النّصوص التّراثيّة ونشرها، وقد مكّنت هذه الجهود من حماية آلاف المخطوطات الإسلاميّة وربطتها ببرامج علميّة تخدم الباحثين وتُفيد طلاّب الدّراسات العليا.

ويمكن القول عموماً: إنّ تجربة العتبات المقدّسة في رأينا من أنجح التّجارب المعاصرة في صون التّراث الإسلاميّ، لأنّها استطاعت أن تنتقل من مفهوم الحفظ التّقليديّ إلى مفهوم الإدارة المتكاملة للتّراث، الذي يجمع بين الحفظ الوقائيّ والنّشر والتّكوين العلميّ، غير أنّ هذه التّجربة ما تزال بحاجة إلى مزيد من الانفتاح الدّوليّ، وتوحيد المعايير الفنيّة، وتوسيع الوصول الرّقميّ، كي تصبح المجموعات التّراثيّة التي تحتضنها جزءًا أكثر فاعليّة في منظومة البحث العلميّ العالميّة، وكي تحقّق الغاية الأساسيّة من صون التّراث، وتحويله من رصيد محفوظ في الخزائن إلى معرفة حيّة تُسهم في إنتاج العلم وتعزّز الحوار الحضاريّ وبناء الوعيّ الثّقافيّ.

هل بالإمكان التّعاون بين المؤسسات العلمية والفكرية بخصوص التّراث الإسلامي سيّما بين الحوزة العلميّة في النّجف الأشرف ومؤسّسات ثقافيّة وأكاديميّة في تونس؟

بالتّأكيد، إنّ التّعاون بين المؤسّسات العلميّة والثّقافيّة في النّجف الأشرف ونظيراتها في تونس يمكن أن يكون من المشاريع الواعدة التي تحقّق فوائد علميّة وثقافيّة كبيرة للطّرفين، شريطة أن يقوم هذا التّعاون على أسس أكاديميّة ومهنيّة واضحة، وأن يركّز على خدمة التّراث بوصفه إرثًا حضاريًّا وإنسانيًّا مشتركًا، وليس خافياً أنّ بين العراق وتونس روابط تاريخيّة وعلميّة عميقة؛ فقد كانتا من أبرز الحواضر العلميّة في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، فالنّجف مثلا اشتهرت بالحوزة العلميّة ومكتباتها العامرة ومجموعاتها المخطوطة، بينما عُرفت تونس، ولا سيّما مدينة القيروان ثمّ العاصمة تونس، بجامع الزّيتونة وخزائنه العلميّة،

وبما تضمُّه من مكتبات عامّة وخاصّة تحتفظ بتراث غنيّ في الفقه، واللّغة، والتّاريخ، وسائر العلوم، وهو ما يجعل التّعاون بين مؤسّساتهما امتدادًا لتقليد علميّ راسخ في الحضارة الإسلاميّة، ويمكن أن يتّخذ هذا التّعاون من النّاحية العمليّة، صورًا متعدّدة، من أبرزها:

المشاريع المشتركة في جرد المخطوطات وفهرستها، عبر تبادل الخبرات في الوصف الكوديكولوجيّ، واعتماد المعايير الدّوليّة في إعداد الفهارس والبيانات الوصفيّة.

برامج رقمنة التّراث، عبر نقل الخبرات في التّصوير الضّوئيّ، والحفظ الإلكترونيّ، وإنشاء المستودعات الرّقميّة، بما يسهم في حماية المجموعات المخطوطة وإتاحتها للباحثين.

تحقيق النّصوص التّراثيّة، من خلال فرق بحث مشتركة تعمل على تحقيق المخطوطات التي تتقاطع موضوعاتها أو تنتشر نسخها بين مكتبات العراق وتونس.

التّكوين العلميّ، بتنظيم دورات وورش عمل في الكوديكولوجيا، وعلم المخطوط، والتّرميم، والحفظ الوقائيّ، والرّقمنة، وإدارة البيانات الوصفيّة.

التّبادل الأكاديميّ، عبر استقبال الباحثين وطلبة الدّراسات العليا، والإشراف المشترك على الرّسائل الجامعيّة، وتبادل الأساتذة والخبراء.

المؤتمرات والنّدوات العلميّة، التي تعالج قضايا التّراث الإسلاميّ، وتهتمّ بصيانة المخطوطات، والرّقمنة، والتّحقيق، وتاريخ العلوم.

قواعد البيانات والمشروعات البحثيّة المشتركة التي تُعنى بحصر التّراث المخطوط في المغرب والمشرق، ودراسة مسارات انتقال الكتب والعلماء بينهما.

كلمة أخيرة:

وفي ختام هذا الحوار، أودّ أن أشكر الأستاذ المحاور: هاشم الباججي، من العتبة العلويّة المقدّسة، وأن أنوّه بجهود مجلّة الولاية، (العراق) على هذا الحوار العلميّ المهمّ وهذه المساجلة الفكريّة بما أثارته من شجون وآراء مثرية.

وأزيد أخيراً التّأكيد على أنّ التّراث الإسلاميّ هو مشروع للمستقبل، وإنّه ذاكرة الأمّة، ومستودع خبراتها، وشاهد على إسهامها في بناء الحضارة الإنسانيّة، والمخطوطات هي مصادر معرفة حيّة، قادرة على الإسهام في تجديد البحث العلميّ، وتعزيز الهويّة الثّقافيّة، وترسيخ قيم الحوار والانفتاح على الآخر المختلف، من هنا، فإنّ مسؤوليّة صون هذا التّراث لا تقع على عاتق المؤسّسات المتخصّصة وحدها، وإنما هي مسؤوليّة جماعيّة مشتركة تتحمّل وزرها الدّول والجامعات، والمكتبات، ومراكز البحث، والعتبات الدّينيّة، والهيئات الثّقافيّة، ويُسهم فيها المجتمع المدنيّ وملاّك هذا المكتسب الثّقافيّ أنفسهم.

لسان الأمة

الرابط الحجاجي (ثمَّ) في خطاب السّيدة الزهراء عليها السلام

د . سحر المشهدي
جامعة الكوفة - الكلية التربوية المفتوحة



لهف نفسي لما بها

الشيخ قاسم محي الدين النجفي

كيف تنسى مصابَ بضعة طه ... إذ دهاها من الأسى ما دهاها
أنحلتْ جسمها الرزايا فأبدتْ ... لهف نفسي لما بها شكواها
لو تراها وهي الشجيةُ حُزناً ... وممضّ الأسقام قد أضناها
وهي تبكي بكاء فاقدة الصبـ ... ـرِ لما قد ألمّ عزّ عزاها
شأنها النَّوح مُذ يد الخطب شجواً ... قدحت نارَها بزند جواها
حرَّ قلبي لها وقد أسلماها ... للمِ من الأسى جبتاها
أبعداها عن فيئها غصباها ... نِحلةَ المصطفى وما ورّثاها
قصدا دارها عناداً وحقداً ... بأفاعيل منكرٍ أضمراها
أحرقا بيتها وقد أسقطاها ... محسناً بالذي به روّعاها
كسرا ضلعها مذ انتهزاهاالـ ... ـفرصةً بعد أن أباحا حِماها
نثرا قرطها انتثار عقود ... ـدمع من عينها لفرطِ بكاها
خرقا صكها عتواً وكفراً ... لطما خدها ولم يرعياها
قصداها بكل هولٍ مُلمٍّ ... وبسوط الزنيم قد أوجعاها



الرابط الحجاجي (ثمَّ) في خطاب السّيدة الزهراء عليها السلام

د . سحر المشهدي
جامعة الكوفة - الكليةالتربوية المفتوحة

لم تفرد الروابط الحجاجية بدراسة تامّة مستقلة عند القدماء، على الرغم من اهتمامهم بذكر أهمية التماسك في النص، فالربط والتماسك مزية اتصف بها الدرس النحوي في تراكيبه، فالربط والوصل هو سمة اللغة العربية [1].

وذكره النحويون [٢] حين أشاروا إلى أهمية الربط في اللغة العربية، ولم يتخلَ البلاغيون عن حديثهم عنها، بل واصلوا الحديث عنه عن طريق الفصل والوصل، وحين نتابع المسير عند المحدثين، ومن بينهم الدكتور تمام حسّان، إذ يشير إلى دور المعاني والمباني في فهم العربية ومن بينها عملية الربط، فيقول:" قرائن التعليق اللفظية والمعنوية في النظام النحوي وعند قرينة الربط من القرائن اللفظية"[٣].

وبذلك نجده يتحدث عن القرائن التي اصطلح عليها تلاميذه من بعده بنظرية (تظافر القرائن)، وهي نظرية مهمة في الوصل بين التراكيب النحوية، وتعدُّ الخامسة في القرائن المقالية اللفظية بعد الإعراب والرتبة والصيغة والمطابقة ويتبعها التضام والأداة [٤].

وتبعه عدد من المحدثين في الحديث عن أهمية الوصل، وقد أفادوا من المدارس الغربية اللسانية ، وعلى سبيل المثال لا الحصر د. عبد القادر الفاسي في كتابه (اللسانيات واللغة العربية)، فدرس نظرية الربط العاملي لدى تشومسكي[٥].

وبذلك فإنّ الحجاج عامل مهم في عملية الربط، ويمثل وحدة لغوية تربط بين كل ملفوظين للوصول إلى نتيجة واحدة[٦].

الانسجام داخل النص:

ولعل أبرز من مثّلها أبو بكر العزاوي فيقول:" ينبغي أن نميز بين صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية، والروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، فالروابط تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح، وتسند لكل قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة، وهنالك العوامل الحجاجية التي(لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضمّ مقولة العوامل أدوات من قبيل (ربما، تقريبا، كاد، قليلا،...) وجل أدوات القصر"[٧].

وأشار ديكرو وأنسكومبر وهما من أوائل الذين درسوا الوظائف الحجاجية للروابط اللغوية، وذلك ضمن دراستها في نظرية الحجاج اللغوي، وضمن تفصيلهما للتداولية المدمجة، وتعني اقتران الحجة بالنتيجة، ويرى بأنّها تضفي قوة حجاجية في القول[٨].

فالحجاج فعل لغوي يؤشر بروابط وأدوات مهمته، ودلالته الاصلية توجيه الملفوظ وجهة حجاجية[٩].

وهي وحدات خطابية تهدف إلى تحقيق الأنساق، ولا تقف عند هذه الحدود، بل تهدف إلى تحقيق تداولية حجاجية يسعى القائل أو الزائر؛ لتحقيقها.

ورأى الباحثان آنفا الذكر أهمية الوجهة الحجاجية في البنية اللغوية وتأثيرها في إحداث الانسجام داخل النص، وفيها تتحقق مستويات للبنية من حيث القوة

والضعف، فتمثل مؤشرًا رئيسًا ودليلًا قاطعًا على الحجاج، فتنشأ علاقات بين الحجج ونتائجها في صورة تتناسب مع السياق اللغوي للمتلقي[١٠].

وعلى سبيل المثال لا الحصر ما يحدثه أثر الاستثناء المفرغ والنفي أو الجزاء والشرط، وهذه الروابط قد تتصل بالوظيفة النحوية من حيث أنّها وحدة معجمية مستقلة مثل: حروف الاستئناف وبعض الظروف كـ(كل وبعض وجميع)، وحروف التقليل أو قط وأبد، ومن بين المفكرين المعاصرين ظهر أبو بكر العزاوي وهو يتحدث عنها فيقول:" الروابط الحجاجية تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصلح أو أكثر، وتسند لكلّ قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة"[١١].

وعُرفت بأنّها:" علاقة لسانية تربط بين غرضين لغويين داخل المقولة نفسها "[١٢].

ومكوناتها لغوية تحاول الربط بين وحدتين دلاليتين لإحداث استراتيجية حجاجية فتسمح للربط بين المتغيرات الحجاجية[١٣].

والروابط الحجاجية تهتم باتساق النص، فهي آليات لغوية هدفها بيان البنية العميقة في النص أو الخطاب أو الرسالة، وتربط بين مجموع الحجج وأحياناً بين الحجج ونتائجها؛ لتوجيه الحجاج نحو غاياته المقصودة، وقد تضمن دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة بهذه الروابط فأحدث التأثير في الإقناع، وأضفت أدواته سماتها الحجاجية ليبلغ الإمام عليه السلام هدفه المنشود في الوحدة والدعوة والإقناع.

(ثمّ) في خطاب الزهراء عليها السلام:

وقد تنوعت الروابط الحجاجية بالنسبة إلى عملها، فكل لها مهام خاصة أو وظيفة معينة يؤديها، ووظيفتها تنظيم النص وربط بعضه ببعضه الآخر، ومن أنواع الروابط الحجاجية التي وردت في خطاب سيدتنا الزّهراء عليها السلام الرابط العطفي الحجاجي (ثم) فالقاعدة الرئيسة التي تقوم عليها الروابط الحجاجية تقوم على قاعدة مفادها

الرابط الحجاجي=الوظيفة اللغوية الوظيفة التداولية الحجاجية،(وهو عامل الإقناع بالمضمون).

فكل رابط حجاجي يقوم بمهمتين:(وظيفته اللغوية زيادة على وظيفته التداولية الخاصة بالحجاج) وهما يمثلان عنصرين رئيسين في الإقناع عند المتلقي أو السّامع.

وهو رابط حجاجي عدّه أهل اللغة من الحروف الهوامل، فائدته التشريك والعطف بين المتعاطفين [١٤]، فالثاني يأتي متأخرًا عن الأول مما يفضي إلى مهلة معينة.

أما حجاجيًا، فعملها الجمع بين مقولتين متباعدتين ضمن استراتيجية واحدة، فالربط فيها مع عناصر غير متجانسة، اي على العكس من الواو [١٥].

ويقع المعطوف بعد انقضاء مدة متروك قياسها زيادة على صعوبة وضع رابط يحدد تلك المدة الطويلة داخل السياق [١٦].

ويفيد هذا الحرف التراخي والمهلة بين

قضيتين متباعدتين، ويرتب بين الحجج؛ لذا نجد هذا الرابط يتردد في خطاب السيدة الزهراء عليها السلام، فتقول:" ابْتَدَعَ الأَشْيَاءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلاّ تَثْبيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهاً عَلى طاعَتِهِ، وَإظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازاً لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ"[١٧].

وهنا أدّى الحرف (ثمّ) وظيفته الحجاجية المتمثلة بـ (الترتيب والتراخي الزمني)، وكان الحديث عن خلق الإنسان والنتيجة أو المحصّلة النهائي ما يتحصل من ثواب أو عقاب على قدر الأعمال، ولا يأتي بدرجة واحدة، بل يتدرج عن طريق مسلمات أو مراحل تتابع فيما بينها، لتصل من الأضعف إلى الأقوى.

وقد ورد الرابط بشكل جلي في الخطبة الفدكية، وقام بدور كبير زيادة على وظيفته النحوية من ربط بين الجمل، وكأنّه يريد الانتقال بالسّامع أو المتلقي بالوصول إلى النتيجة، فترتبت الحجج منطقيًا على وفق السلم التراتبي الآتي :

ووضع العقاب على معصيته (نتيجة ٢)

جعل الثواب على طاعته (نتيجة ١)

ثمَّ

مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ فِي تَصْويرِها (لو فرضنا حاجته لا تكمن الألوهية) ق٣

مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها (حاجة وفائدة) ق٢

كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ (قدرة ومشيئة) ق ١

كما أنّ التقابل الدلالي بين (الطّاعة والمعصية والثواب والعقاب) أدّى مهمته الوظيفية بعد أن تحدث عن القاعدة الأولى، المتمثلة بالقدرة والمشيئة، والقاعدة الثانية التي تتحدث عن الفائدة، والقاعدة الثالثة التي تقول بأنّه لو فرض حاجته لم تكن له مطلق الألوهية، وكلّ تلك القواعد أدّت عبر التراخي والإمهال في الحرف الحجاجي (ثم) إلى نتيجة مفادها الحديث عن عاقبة دينية ودنيوية هي: الثواب = الطّاعة والعقاب = المعصية، وهذا ما تحدث عنه القرآن الكريم.

وتقول في موضع آخر من الخطبة:" فأنار

ورد الرابط الحجاجي بشكل جلي في الخطبة الفدكية، وقام بدور كبير زيادة على وظيفته النحوية من ربط بين الجمل، وكأنّه يريد الانتقال بالسّامع أو المتلقي بالوصول إلى النتيجة.

الله بمحمدٍ ظُلمها وكشف عن اللوب بُهمها وجلّى عن الأبصار غُممها، وقام في الناس بالهداية، وأنقذهم من الغواية،...ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاختِيارٍ، ورَغْبَةٍ وَإيثارٍ بِمُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ تَعَبِ هذِهِ الدّارِ في راحةٍ"

عَنْ تَعَبِ هذِهِ الدّارِ في راحةٍ (نتيجة ٢)
قَبَضَهُ اللهُ إلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاختِيارٍ ورَغْبَةٍ وَإيثارٍ (نتيجة ١)

ثمَّ

ودعاهم إلى الطريق المستقيم ـــــــــ ق٤
وهداهم إلى الدين القويم ـــــــــ ق ٤
وبصرهم من العماية ـــــــــ ق٣
وأنقذهم من الغواية ـــــــــ ق٢
وقام في الناس بالهداية ـــــــــ ق ١

وهنا تمّ العطف عبر رابط العطف الحجاجي(ثم) بعد أن تبين المقولات في إرسال الرسول الأمين ﷺ بعد أن أتمّ رسالته على أتمّ وجه وأكمله ،وقد مهدّت لتلك النتيجة عن طريق بناء القواعد الأساسية(التعريف به وبيان فضله وخيره)؛ لتكون بعد ذلك النتائج النهائية، ونلحظ الترتيب الحجاجي في الزمن وتبيين مراحل الانتقال من الرسالة، وإخراج الناس من الظلام الى النور بنتائج مهمة، تبين بعدها انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

فقد أثّر الترتيب الزمني في وجود نتائج مرحلية في إتمام الرسالة وتأدية الأمانة مهدّت للسّامع، وكأنّها تتحدث عن رحلته الطويلة بأسلوب حجاجي موجز، فقد (هدى وأنقذ وبصر ودعا)، وهي مقولات متعددة، أفضت إلى أن الله تعالى اختاره بعد تمم كل ما سبق، ليلتحق به وهي سنته من خلق الخلق، فأختاره (رأفة واختيارا ورغبة وإيثارا)؛ ليرتاح بعد أن أكمل ما كُلف به من تعب الحياة الدّنيا، وتستمر بحديثها الحجاجي؛ لتروي لنا تغير حال القوم بعد وفاته، بمدة قصيرة وهو ما زاد الحجاج قوة فهم يشعلون الفتنة فهي تتهمهم بأنّهم رجعوا إلى عاداتهم فتقول:" وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظَاهِرَةٌ، وَأَحْكَامُهُ زَاهِرَةٌ، وَأَعْلَامُهُ بَاهِرَةٌ، وَزَوَاجِرُهُ لَائِحَةٌ، وَأَوَامِرُهُ وَاضِحَةٌ، وَقَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ؟ أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟ **﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا الاّ رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها، وَيَسْلَسَ قِيادُها ثُمَّ أَخّذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها﴾**"

وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها نتيجة ٢
أَخّذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها نتيجة ١

ثمَّ ـــــــــ رابط حجاجي ٢

وَيَسْلَسَ قِيادُها (نتيجة ٢ ق ١)
لَمْ تَلْبَثُوا الاّ رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها (نتيجة ١)

ثمَّ ـــــــــ رابط حجاجي ١

قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ؟ أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟ ق١

وهي تربط السلم الحجاجي باستعارة مكنية بليغة، فتصوّر الحالة السياسية السائدة، فتحاكي حالهم، وهم يعرفون علم اليقين كتاب الله تعالى، ويحكمون به وراء ظهورهم لا يعملون به، لتأتي بنتيجة مفادها الفتنة، وتجعل تصوّير تلك الفتنة بأنّها دابّة تنفر ممّن يقودها، وهي صورة المجتمع القائم بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وقد كان بإمكان المجتمع القائم تهدئة تلك الدّابة وترويضها.

---

١. ابن الأنباري، أسرار العربية : ٢١٩ .
٢. كسيبويه (ت ١٨٠ هـ)، وابن السراج(ت ٣١٦هـ)، والفارسي(ت ٣٧٧ هـ)،وابن جني(ت ٣٩٢ هـ) والزمخشري(ت ٥٣٨هـ) وابن يعيش(تت ٦٤٣ هـ)، وابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، وابن عصفور الأشبيلي(ت ٦٦٩ هـ)، والرضي(ت ٦٨٦ هـ)، وابن هشام الانصاري(ت ٧٦١ هـ)، ومن بعده ابن عصفور وابن هشام، وغيرهم.
٣. تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١٣ ـ ٢١٦.
٤. عمار شلواي، نظرية تضافر القرائن (عرض ومناقشة) : ٢٦٣ .
٥. عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية: ٣٥
٦. المصدر نفسه.
٧. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج : ٣٠ .
٨. عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية: ٢٩.
٩. ظ: أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة : ٣٧٦ .
١٠. ظ : أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج : ٢٥ .
١١. المصدر نفسه.
١٢. رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشغاله : ١٠٣ .
١٣. ابتسام صغيور، دور الروابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصّي: ٢.
١٤. المرادي،الجنى الداني: ٣٢٦.
١٥. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج : ٢٩.
١٦. عباس حسن، النحو الوافي ٣ : ٤١٣.
١٧. ابن ابي طاهر ، بلاغات النساء: ٢٦ .


صلى الله عليك يا
فاطمة
السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة

ذاكرة الأمم

- التلاعب التاريخي برواية إنذار العشيرة

د. علي زناد كلش
مديرية تربية ميسان

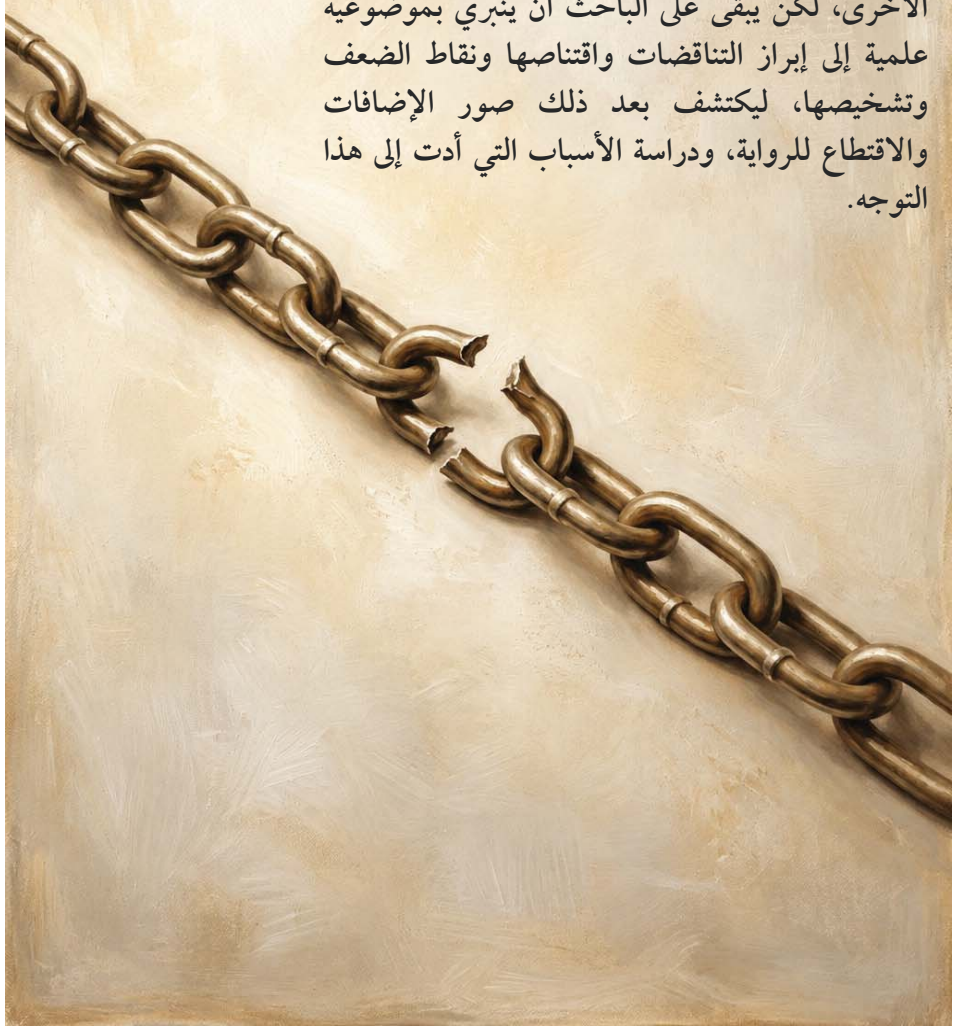
- صناع التاريخ المجهضون: قراءة في ثورة المختار الثقفي ومشروعه العلوي

د. وسن صاحب عيدان
جامعة الكوفة - كلية الآداب

التلاعب التاريخي برواية إنذار العشيرة

د. علي زناد كلش
مديرية تربية ميسان

تعرضّت رواية (إنذار العشيرة) للدس والتشويه والتلاعب، حالها حال كثير من الروايات التأريخية الأخرى، لكن يبقى على الباحث أن ينبري بموضوعية علمية إلى إبراز التناقضات واقتناصها ونقاط الضعف وتشخيصها، ليكتشف بعد ذلك صور الإضافات والاقتطاع للرواية، ودراسة الأسباب التي أدت إلى هذا التوجه.



فبالإضافة إلى ما بيناه من اختلاف في إيراد الرواية وإثبات الرواية الأقرب للواقع، سنسلك في هذه النقطة تفكيك الروايتين وبيان أوجه التلاعب التأريخي فيهما، بغض النظر عن صحة أو ضعف الرواية.

مع الطبري وابن كثير في تاريخيهما:

ولعل هناك تلاعباً، يمكن أن يُسجّل على الرواية، وهو ما وجدناه عند الطبري، فالأخير في كتابه تأريخ الرسل والملوك يورد الرواية: بعدما انبرى الإمام علي عليه السلام لمؤازرة النبي محمد صلى الله عليه وآله ومعاونته على الأمر بعبارة " فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي "[1]، لكن الطبري عاد وأبدل العبارة الأخيرة في كتابه التفسيري جامع البيان بـ " فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا... أنا يا نبي الله أكون وزيرك، فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا "[2]، إذ ذكر الطبري هذا الحديث في تأريخه على النحو المتقدم، لكنه اختزل النص في تفسيره جامع البيان، فإنه بعد أن ذكره حرفياً متناً وسنداً غيَّر فيه عبارة واحدة فقال: "فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، وكذا وكذا " إلى أن قال: " ثم قال: إنّ هذا أخي، وكذا وكذا". فاستبدل كلمة: " ووصيي وخليفتي فيكم" بكلمة: وكذا.. وكذا "، وفيه دلالة على ان الحذف والتبديل كان من عدم الالتزام بالأمانة العلمية أولاً، فضلاً عن الأهداف السياسية القابعة خلفها ثانياً، إذ غَيّر الطبري كلامه من أجل التوهين بولاية الإمام علي عليه السلام وهي المسألة المهمة، التي وقع فيها الصراع الاجتماعي والسياسي، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بل غيرت وجه التاريخ. فكان وجود الإمام علي عليه السلام وقول الرسول صلى الله عليه وآله بحقه سبباً في استبدال الرواية وتحريف مضمونها، والحال كذلك ينطبق على ابن كثير أيضاً، إذ سار على منوال الطبري، لا سيما أن ابن كثير كان ناقلاً لتاريخ الطبري، بل العمود الفقري لكتاباته التاريخية وحتى تفسيره، لكنه عندما يصل إلى هذه الرواية في كتابه تفسير ابن كثير يترك تاريخ الطبري ويستند إلى ما ورد في تفسيره جامع البيان، إذ ورد " أمرني الله (عز وجل) أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا، فأخذ برقبتي ثم قال: إنّ هذا أخي وكذا وكذا، فاسمعوا له وأطيعوا "[3]، وبهذا سلك ابن كثير الطريق نفسه الذي سلكه – من قبل – سلفُه الطبري، ضارباً عرض الجدار مبدأ أمانة النقل، ونحن لا نعذر ابن كثير في

عمله هذا أبداً، لأنه قد اعتمد في رواياته التاريخية في تاريخه وتفسيره معاً تاريخ الطبري، لا تفسيره، ولا شك في أنّه قد مرّ على هذه القصة في تاريخ الطبريّ، ولكنّه مع ذلك حاد عن الطريق السويّ، فأعرض عن نقل رواية التاريخ في هذه الحادثة، وعمد بصورة غير متوقعة إلى نقل رواية التفسير، وليس هذا فقط بل جرى الخلف على خطى السلف ولكن بصورة أبشع وأشنع، فإن (محمد حسين هيكل) ذكر هذا الحديث أيضاً في كتابه حياة محمد (الطبعة الأولى) ص١٠٤، على وفق نص الطبري في تاريخه.لكنه في الطبعة الثانية لكتابه هذا نفسه، المطبوع سنة ١٣٥٤ هـ. ذكر هذا الحديث عينه في ص١٣٩، إلا أنه حذف كلمة: «وخليفتي فيكم» واقتصر على قوله: «ويكون أخي ووصيي». وذلك لقاء خمس مئة جنيه مصري، أو لقاء شراء ألف نسخة من كتابه[٤].

وواحدة من صور التلاعب التاريخي هو التشكيك في بعض الألفاظ الواردة في حديث الدار، من قبيل التشكيك بأن النبي ﷺ لم يقل (من بعدي) عندما ذكر (خليفتي فيكم)، وقد كفانا مؤونة الردّ على هذا التشكيك أحد الباحثين بالقول: "والحقيقة أننا لا نجد فرقاً بين التعبيرين وإذا كان (خليفتي فيكم من بعدي) صريحاً في الدلالة فأن (خليفتي فيكم) كذلك أيضاً ، لأن معناه أن علياً هو الذي يخلفني فيكم لو أصابني مكروه ، وهذا نص على الخلافة بعد الموت، ويؤكد هذا المعنى ذكر النبي ﷺ لكلمة (وصيي).، والوصاية في الإسلام إنما يقصد بها ما بعد الموت ، إذ يقوم الوصي بما طلب منه الموصي ان يقوم به، ولو كان الأمر يتعلق بما قبل الموت لقال وكيلي ولم يقل وصيي؛ لأن الوكالة هي التعبير الإسلامي عمن يطلب منه تنفيذ بعض الأعمال نيابة عن إنسان موجود على قيد الحياة"[٥].

التهافت التاريخي:

وبمتابعة الرواية نجد هنالك جملة من الهنات التي لا يمكن القبول بها، منها ورود عبارة "يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار "والمقصود بها السيدة الزهراء عليها السلام بنت النبي محمد ﷺ، ورواها البخاري بلفظ آخر جاء فيه "قام رسول اللهّ ﷺ حين أَنْزَلَ الله (عزوجل) ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أو كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ من اللهّ شيئاً يا بَنِي عبد مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ منَ اللهّ شيئا يا عَبَّاسُ بن عبد الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ من اللهّ شيئاً وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رسول

اللهَّ ﷺ لَا أُغْنِي عَنْكِ من اللهَّ شيئا وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي ما شِئْتِ من مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ من اللهَّ شيئاً "[٦].

ورب قائل يقول: إن النبيَ ﷺ خصَّ بالكلام بنته فاطمة الزهراء عليها السلام ؛ لأنها ابنته والأقرب إلى قلبه، فإذا أخبرها أنه لا يملك لها من الله شيئًا، فمن المؤكد أنّ الأمر نفسه وأكثر سيكون مع الأخرين، ومن باب أولى مع كل عشيرته، فهذا أبلغ في البيان، لكن هذا الكلام من زج السيدة الزهراء عليها السلام في الحادثة لا يمكن أن يصمد إزاء التحقيق التاريخي لأسباب منها:

أولاً: تشير الروايات إلى أنّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لم تكن مولودةً بعد لأن حديث الإنذار في السنة الثالثة للبعثة والسيدة الزهراء عليها السلام ولدت في السنة الخامسة للبعثة على أقصى التقديرات أي: بعد سنتين من الحادثة إذ ورد "ولدت فاطمة، عليها وعلى بعلها السلام، بعد مبعث رسول الله ﷺ بخمس سنين"[٧].

ثانياً: طبقاً لسن السيدة الزهراء عليها السلام وهو سنتان فتكون فاطمة الزهراء عليها السلام غير مُكلّفة شرعاً بالتكاليف الشرعيّة، إذ لا تصح مخاطبتها يومذاك كسائر المكلفين، وهذا طعن بالنبي ﷺ أيضاً إذ كيف يأمر وينذر من لا يدخل في الإنذار والوعيد بعد؟ فالطعن يكمن في عدم علم النبي ﷺ بسن التكليف. وحتى

> إن الله (عزوجل) لم يبعث رسولا إلا جعل له أخا ووزيرا ووصيا ووارثا من أهله، وقد جعل لي وزيرا كما جعل للأنبياء قبلي، وإن الله قد أرسلني إلى الناس كافة، وأنزل علي " وأنذر عشيرتك الاقربين "

لو قبلنا رأي الآخرين والذين اختلفوا في سنة مولدها[٨]، فيكون عمرها عام البعثة قبل سن البلوغ فتخرج عليها السلام من دائرة التكليف.

وبالسياق نفسه نجد ذكر شخصيات لم تخرج للدنيا بعد، أو لم تسلم بعد، وذكرت وزُجّت في الرواية لا لغرض إلا لإضفاء أسماء شخصيات، لها ثقلها التاريخي؛ لتعطي مصداقية أكثر وقبولاً أوسع للرواية، ومن هذه الشخصيات أبو هريرة، وعبد الله بن عباس، إذ ذكر "وقال ابن عَبَّاسٍ لَّمَّا نَزَلَتْ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ جَعَلَ النبي ﷺ يُنَادِي يا بَنِي فِهْرٍ يا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ وقال أبو هُرَيْرَةَ لَّمَّا نَزَلَتْ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ قال النبي ﷺ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ "[٩].

ويمكن مناقشة ذلك من عدّة وجوه:

أولها: أن ابن عباس لم يكن قد وُلِد بعد في هذه الحادثة، حتى يمكن الاستدلال عليه في هذه القضية، إذ ولد ابن عباس

قبل الهجرة بثلاث سنوات[١٠] وحديث الدار في السنة الثالثة للبعثة، أي: أنها وقعت قبل ولادته بسبع سنوات.

ثانيها: بخصوص أبي هريرة الوارد ذكره في الرواية، فإنه لم يسلم إلا في السنة السابعة للهجرة[١١] في المدينة المنورة، أي بعد سبعة عشر عاماً من الحادثة في مكة.

ثالثها: علّق عليه ابن حجر بالقول: "هذا من مراسيل الصحابة... لأن أبا هريرة إنما أسلم بالمدينة، وهذه القصة وقعت بمكة، وابن عباس كان حينئذ إما لم يولد وإما طفلا"[١٢].

وثمة أنموذج آخر للتلاعب التاريخي يمكن استشفافه عبر ذكر نساء النبي محمد ﷺ في الحادثة، وهُنَّ لم يتزوج بهنّ الرسول ﷺ إلا في المدينة، وحديث الدار كان في مكة، وإليك نص الرواية "فأجلسهم على الباب وجمع نساءه وأهله فأجلسهم في البيت ثم اطلع عليهم...ثم أقبل على أهل بيته فقال: يا عائشة بنت أبي بكر، ويا حفصة بنت عمر، ويا أم سلمة، ويا فاطمة بنت محمد، ويا أم الزبير عمة رسول الله ﷺ اشتروا أنفسكم من الله واسعوا في فكاك رقابكم "[١٣].

إذ من المعروف أنّ النبي محمد ﷺ لم يكن قد تزوج حينئذٍ الا بخديجة بنت خويلد. ولم تكن أيٌّ من المذكورات من زوجاته ﷺ، ولم يبن ﷺ بأي منهن إلا في المدينة. وحادثة إنذار العشيرة كانت في مكة لا في المدينة كما هو معروف، وهذا ما أكده ابن حجر بالقول: "ولم تكن عائشة، وحفصة، وأم سلمة، عنده ومن أزواجه إلا بالمدينة"[١٤]، ولم يكن هناك تعدد للقصة حتى يمكن القول إن حادثة الدار قد جرت مرتين الأولى في مكة والثانية في المدينة لأن "الأصل عدم تكرار النزول"[١٥]، ويبدو أن سبب رواية إنذار العشيرة بطرق متعددة وزج أسماء كثيرة غير موجودة أصلاً، كان غرضها ومحورها إسقاط اسم علي عليه السلام من شرف الاخوة والوصاية والخلافة بعد رسول الله ﷺ، وهذا يكفي في الاستدلال على أنّ أمثال تلك الروايات كانت موضوعة للتقليل من أثر الإمام علي عليه السلام في واقعة إنذار العشيرة.

ومن الأقاويل التي وضعت على لسان النبي ﷺ في الرواية قوله " اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ من اللهَّ شيئاً " إذ لا يتوافق هذا الكلام مع ما نَص عليه القرآن بحق الرسول الأكرم ﷺ" وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى "[١٦]، والرسول ﷺ نفسه يقول "إِنَّهُ سَيُكْذَبُ عَلَيَّ كَمَا كُذِبَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي فَمَا جَاءَكُمْ عَنِّي مِنْ حَدِيثٍ وَافَقَ كِتَابَ الله فَهُوَ حَدِيثِي وَ أَمَّا مَا خَالَفَ كِتَابَ الله فَلَيْسَ مِنْ حَدِيثِي"[١٧]، وهو ما لا يوافق ما

جاء في القرآن، ثم أن هذا الكلام فيه نفيٌ لشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة وفضله على أمته، بل الأكثر من ذلك أن ابن سعد روى أن هذا الكلام في مرض وفاة الرسول ﷺ، وليس في حادثة الإنذار للعشيرة، إذ ورد عن الرسول ﷺ قوله " والله لا يمسك الناس علي بشيء لا أحل إلا ما أحل الله (عز وجل) في كتابه ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه، ثم قال: يا فاطمة بنت محمد، ويا صفية عمة رسول الله اعملا لما عند الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً، ثم قام من مجلسه ذلك فما انتصف النهار حتى قبضه الله"[١٨]، وبهذا يكون من حيث الزمان يناسب أن يكون في مرض وفاة الرسول ﷺ وفي المدينة، وليس في مكة وفي السنة الثالثة من بعثة الرسول ﷺ كما جاء في الأحاديث التي درسناها قبل هذا.

مع ابن تيمية:

وجرى ابن تيمية، على عادته، في إنكار فضائل أمير المؤمنين عليه السلام في سعيه الحثيث للتبديل والتمويه لكل ما يمت للإمام علي عليه السلام بصلة، وبدراسة ما أبداه ابن تيمية في خصوص حديث الدار نجد ظاهرة العناد والجحود واضحة للعيان في كتاباته بهذا الشأن، لا لشيء إلا لبغضه لأمير المؤمنين عليه السلام، حتى لو كان كلامه يخالف العقل والمنطق، إذ ورد في معرض

واحدة من صور التلاعب التاريخي هو التشكيك في بعض الألفاظ الواردة في حديث الدار، من قبيل التشكيك بأن النبي ﷺ لم يقل (من بعدي) عندما ذكر (خليفتي فيكم).

كلامه عن إجابة الإمام علي عليه السلام للرسول ﷺ بأنها غير كافية لأن تجعله ولياً، وإليك نص كلامه" أن قوله للجماعة من يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني على القيام به يكن أخي ووزيري ووصيي وخليفتي من بعدي كلام مفترى على النبي ﷺ، لا يجوز نسبته إليه، فإن مجرد الإجابة إلى الشهادتين والمعاونة على ذلك لا يوجب هذا كله، فإن جميع المؤمنين أجابوا إلى هاتين الكلمتين وأعانوه على هذا الأمر، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في إقامته وطاعته وفارقوا أوطانهم وعادوا إخوانهم وصبروا على الشتات بعد الألفة وعلى الذل بعد العز وعلى الفقر بعد الغنى وعلى الشدة بعد الرخاء وسيرتهم معروفة مشهورة، ومع هذا فلم يكن أحد منهم بذلك خليفة له"[١٩].

في الإجابة على إشكال ابن تيمية هذا يستوجب منا الالتفات إلى نقطة مهمة هي المناقشة لكلامه على وفق المنهج العلمي غير المتعصب، أو الذي يفرض

قبليات إيديولوجية على النص، من دون مناقشتها أو تفكيك مضامينها، وجوابنا على إشكاله بالآتي:

أولاً: إنّ ابن تيمية نسي أو تناسى أنّ مسألة تعيين الخليفة لا تخضع للأمزجة والأهواء، ولا تخضع للارتباطات القبلية أو العاطفية، بقدر ما هي خاضعة للتقرير السماوي بنظرية الجعل الإلهي بنص القرآن ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[٢٠] و"﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾"[٢١].

ثانياً: ما ورد في إطار الرد على هذا الإشكال يدحض تقولات ابن تيمية، إذ نقل "إن قوله ـ أي: قول النبي صلى الله عليه وآله ـ هذا ليس علة تامة للخلافة، ولم يدع صلى الله عليه وآله، ليشمل حتى من لم يكن من عشيرته، بل أمره الله بإنذار عشيرته، لأنهم أولى بالدفع عنه ونصره، فلم يجعل هذه المنزلة إلّا لهم، وليعلم من أول الأمر أنّ هذه المنزلة لعلي، لأنّ الله ورسوله يعلمان: أنه لا يجيب النبي صلى الله عليه وآله ولا يؤازره غير علي، فكان ذلك من باب تثبيت إمامته بإقامة الحجة عليهم. ومع فرض تعدد المجيبين يعين الرسول صلى الله عليه وآله الأحق بها منهم"[٢٢].

ثالثاً: تدل أقوال النبي صلى الله عليه وآله بهذا الخصوص على العلم المسبق بالنتيجة، لكن إطلاق هذا الكلام هو من باب التأكيد، إذ روي "إن الله (عز وجل) لم

ثمة أنموذج آخر للتلاعب التاريخي يمكن استشفافه عبر ذكر نساء النبي محمد صلى الله عليه وآله في الحادثة، وهن لم يتزوج بهن الرسول صلى الله عليه وآله إلا في المدينة، وحديث الدار كان في مكة

يبعث رسولاً إلا جعل له أخاً ووزيراً ووصياً ووارثاً من أهله، وقد جعل لي وزيراً كما جعل للأنبياء قبلي، وإن الله قد أرسلني إلى الناس كافة، وأنزل علي " وأنذر عشيرتك الأقربين " ورهطك المخلصين، وقد والله أنبأني به وسماه لي، ولكن أمرني أن أدعوكم وأنصح لكم، وأعرض عليكم لئلا يكون لكم الحجة فيما بعد، وأنتم عشيرتي وخالص رهطي، فأيّكم يسبق إليها، على أن يؤاخيني في الله ويؤازرني في الله (عز وجل)، ومع ذلك يكون لي يدا على جميع من خالفني، فأتخذه وصياً ووليا ووزيراً، يؤدي عني، ويبلغ رسالتي، ويقضي ديني من بعدي وعداتي "[٢٣]، إذ يدل هذا النص على أن النبي محمدا كان يعرف أنهم سوف لا يجيبونه، باستثناء علي عليه السلام، كما أن ظاهر قول النبي: أيكم يؤازرني... الخ. أن الخطاب كان لواحد منهم على سبيل البدل، فالذي يجيب منهم أولاً يكون هو الوصي والولي. وتقارن إجابة اثنين أو أكثر

بعيد الحصول، لو أجابه أكثر من واحد. فإنه سوف يوكل أمر التعيين إلى ما بعد ظهور المؤازرة، فمن كانت مؤازرته أتم وأعظم، وأوفق بمقاصد الشريعة، وظهر أنه الأقوى والأليق بالمقام، فإنه سيختاره من دون غيره، كذلك ليس المطلوب هو المؤازرة له في الجملة ليقال: إن سائر المسلمين قد آزروه في الجملة. بل المراد المؤازرة التامة في كل موطن وموقف، والثبات في كل الأحوال، بغض النظر عن تبدل الظروف، ومصاديقها تتمثل بالنوم على فراش النبي محمد صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة والتضحية بالنفس، وقلع باب خيبر، وقتل صناديد العرب من المشركين، وما إلى ذلك من مواقف مشرفة يسجلها التاريخ.

ولم يحصل ذلك إلا من أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه الامتيازات للإمام علي عليه السلام هي التي جعلت الآخرين يلفقون الأكاذيب وينمقون الأباطيل، لصرف الأنظار عن مستحقها والأليق بها.

التخفيف من وقع الحدث:

ومن صور التلاعب الأخرى هو تعدد الألفاظ في الرواية من قبيل (خليفتي في أهلي) و(خليفتي فيكم) و (خليفتي من بعدي)، إذ إن التعدد في الألفاظ كان الهدف منه التخفيف من وقع الحدث، الذي شغل حيزاً في الحقل التاريخي نظراً لأهميته، وتلافي قسط كبير من الإحراج بسببهِ نظراً لحساسيته، لكن التأمل في هذه النصوص يعطينا تصوراً أن هذا التصرف فيها ليس له تأثير في تحقيق الغرض الذي توخّوه منها. لأن النبي صلى الله عليه وآله قد ذكر وصفين هما الوصاية والخلافة مما يعني أن المقصود بالخلافة معنى آخر غير معنى الوصاية، وأن موارد أعمال الخلافة وتأثيرها العملي يختلف عن مورد الوصاية، فالخلافة والوصاية في الأهل إما أن تكون لزوجات النبي صلى الله عليه وآله من بعده فلا يحتجن إلى وصي ولا إلى ولي يلي أمرهن، وإما أن تكون لابنته الوحيدة السيدة الزهراء عليها السلام فقد كان للسيدة فاطمة عليها السلام حين وفاة أبيها زوج يقوم بشؤونها، ويهتم بأمرها، وهل يحتاج حفظ البنت وحفظ الزوجات إلى جمع العشيرة كلها للنظر في ذلك ؟ علماً أن السيدة الزهراء عليها السلام لم تولد بعد على أغلب الروايات التي ذكرناها، فضلاً عن أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يتزوج بالنساء بعد سوى السيدة الطاهرة خديجة عليها السلام، والمتعارف عليه لم يجر تقليد بين الناس بتنصيب ولي أو جعل وصي على البنت البالغة الرشيدة المتزوجة، التي تمتلك قرارها بيدها، والأمر ينسحب بالنسبة للزوجات الكبيرات الراشدات، اللواتي لهن أهل،

وعشائر، فالمقصود بالولاية في الأهل معنى الإمارة والسلطة عليهم، ويبدو أيضا إن هنالك تلاعباً واستبدالاً للألفاظ لحاجة في النفس قضيت، ومنها في عبارة (خليفتي في أهلي) إذ نعتقد أن الأصل هو (خليفتي من أهلي) بدلالة ما تقدم من قول النبي صلى الله عليه وآله: إن الله (عز وجل) لم يبعث رسولاً حتى جعل له وزيراً من أهله، تماماً كما قال موسى عليه السلام: "وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي"[٢٤]، وهذا التعبير هو المناسب لأن الرسول صلى الله عليه وآله ذكر صراحةً قول (وزيراً من أهله) ولم يقل:(وزيراً في أهله)، ثم أن كلام الرسول صلى الله عليه وآله لا يمكن أن يخرج من دائرة القرآن ومخالفة مضامينه وما ورد فيه، وفيه أيضا دلالة تأكيدية على إلهية التعيين والجعل لمنصب الخليفة من بعد النبي صلى الله عليه وآله بقوله: (حتى جعل له وزيرا) كما ذكرنا ذلك سابقاً، فالأصح (من أهلي) وليس (في أهلي)، أما عبارة خليفتي فيكم بمعنى خليفتي بالعشيرة، فالأهل معناها " الأقارب والعشيرة والزوجة "[٢٥]، أما خليفتي من بعدي فتعني من بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله لا في حياته أولاً، كما أن مفهوم الخلافة يكاد أن يُجمع على أنه لا وجود لنوعين من الخلافة الخاصة على بعض والعامة على الكل، بل أن خلافته الخاصة تقتضي خلافته المطلقة على وفق المنظور الواقعي، فيدلنا ذلك على أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أراد جعل الخليفة للناس كلهم من بعده، ويقوم مقامه ويسير بسيرته في مناحي الحياة كلها ثانياً.

---

١. الطبري، تاريخ الطبري: ١ / ٥٤٢ ـ ٥٤٣.
٢. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٩ / ١٢٢.
٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار النشر: ٣ / ٣٥٢.
٤. محمد حسين، حياة محمد:١٠٤.
٥. . الشيخ محمد حسن آل ياسين، الإمامة: ٣٦.
٦. البخاري، صحيح البخاري: ٣ / ١٠١٢.
٧. ظ: ابن سعد، الطبقات: ٨ / ١٩.
٨. ظ، الكليني، الكافي: ٢ / ٧٩.
٩. البخاري، صحيح البخاري: ٣ / ١٠١١.
١٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣ / ٣٣٢.
١١. أبو سليمان الخطابي، غريب الحديث: ٢ / ٤٨٥
١٢. فتح الباري: ٨ / ٥٠٢.
١٣. الطبراني، المعجم الكبير: ٨ / ٢٢٥ .
١٤. ابن حجر، فتح الباري، ٨ / ٥٠٢.
١٥. المصدر نفسه.
١٦. الضحى / ٥.
١٧. المجلسي، بحار الأنوار: ٢ / ٢٢٧.
١٨. ابن سعد، الطبقات، ٢ / ٢١٦.
١٩. ابن تيمية، منهاج السنة النبوية: ٧ / ٣٠٦.
٢٠. الأنبياء / ٧٣.
٢١. ص / ٢٦.
٢٢. المظفر، دلائل الصدق لنهج الحق: ٦ / ٣٤.
٢٣. ابن طاووس، سعد السعود: ١٨ / ٢١٥ ـ ٢١٦.
٢٤. طه / ٢٩.
٢٥. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط: ١ / ٣١.

صناع التأريخ المجهضون: قراءة في ثورة المختار الثقفي ومشروعه العلوي

د. وسن صاحب عيدان
جامعة الكوفة - كلية الآداب



كانت واقعة الطف سنة ٦١ للهجرة قد وحّدت صفوف الشيعة، وأثارت في نفوسهم الحماسة للأخذ بثأر الامام الحسين عليه السلام، كما أذكت مأساة كربلاء روح التشيع، بعد أن كان رأياً سياسياً لم يصل الى قلوب الشيعة، ولكن التشيع امتزج بعد مقتل الحسين عليه السلام بدمائهم وأصبح عقيدة راسخة في نفوسهم، وقد وجدت بعض الشخصيات ومنهم المختار بن أبي عبيد الثقفي الفرصة السانحة للقيام بالثورة، تحت شعار الأخذ بثأر الحسين، وقد بذل من الجهد ما لا يمكن إنكاره في سبيل الوصول الى ترسيخ تلك المفاهيم التي استند إليها، وفي الرابع عشر من ربيع الآخر- من سنة (٦٦) للهجرة اندلعت ثورةُ المختار بن أبي عبيد الثقفي وكان شعارُها: (يا لثارات الحسين عليه السلام)[١].

وبعد نجاح الثورة وسيطرة المختار على زمام الأمور، أصدر أوامره الصارمة بملاحقة قتلة الإمام الحسين عليه السلام، ممن كانوا حتى وقت قريب يشغلون المناصب العليا ويتوارون بعد الجريمة، إذ انطلقت فرق الثوار في تتبع آثارهم، حتى تم اعتقال المئات بل الآلاف منهم، واقتيادهم إلى المختار. وهناك، واجههم بسؤال واحد: ماذا فعلتم بالحسين وأصحابه، فكانت اعترافاتهم توثيقاً دامياً لجريمة كربلاء، وبعد أن يفرغوا من اعترافاتهم، كانت الأوامر تصدر بلا تردد، لتنفيذ القصاص العادل بحقهم، انتقاماً لدماء العترة الطاهرة وأصحاب الإمام الحسين عليه السلام، الذين سُفكت دماؤهم ظلماً[٢].

التركيبة القبلية والإجتماعية في دولة المختار الثقفي:

تعد الكوفة من أبرز الحواضر الإسلامية في القرن الأول الهجري، لما امتازت به من تنوع اجتماعي وقبلي وفكري، جعلها مسرحاً للأحداث السياسية والعسكرية الكبرى، بعد معركة الطف، وقد برز هذا التنوع بوضوح في مدة حكم المختار بن أبي عبيد الثقفي، إذ مثّل المجتمع الكوفي آنذاك بنية مركبة، ضمت فئات وقوى اجتماعية مختلفة في الانتماءات والمصالح والاتجاهات، وقد استند المختار الثقفي في مشروعه السياسي إلى هذا الواقع الاجتماعي المتعدد، فاعتمد على فئات محدودة داخل المجتمع الكوفي، ولاسيما الموالين وأنصار أهل البيت عليهم السلام، في مقابل معارضة قبائل عربية نافذة وقوى سياسية أخرى، من هنا فإن دراسة مكونات المجتمع الكوفي في دولة المختار تعد مدخلا أساسا لفهم طبيعة حركته وآليات حكمه وأسباب نجاحه المؤقت،

ثم تعثره لاحقاً .
فبالإمكان ترتيب المعشر الكوفي لخلافة المختار الثقفي الى الفئات الآتية:

الاعيان الذين يميلون للأمويين: وهم سادة الكوفة ورؤساؤها الموالون للأمويين والمشاركون في مقتل الإمام الحسين عليه السلام .

الاعيان الذين يميلون للزبيريين: وهم أتباع عبد الله بن الزبير الذي كان يريد القضاء على ثورة المختار والسيطرة على الكوفة.

الشيعة المناصرون لآل البيت عليهم السلام: الذين شاركوا مع المختار في ثورته، ومنهم أبو الطفيل عامر بن ويلا الكناني وإبراهيم بن مالك الأشتر وعبد الرحمن بن عمرو وآخرون.

المَوالي: إذ كان الموالي من مكونات المجتمع الكوفي منذ تمصيره، وقد أفادت المصادر التأريخية بمعلومات مهمة عنهم، إذ كانوا من أنصار ثورة المختار لجملة من الدوافع منها أنهم شعروا بالقمع والتفريق الطبقي في التعامل، لذلك فقد واجهوا أنماطاً مختلفة من التعسف ولم يسلموا إلّا في خلافة الإمام علي عليه السلام للمسلمين، بعد أن نقلوا إليه تذمرهم من الطغيان الذي تعرضوا له.

العبيد: وهؤلاء نظروا الى المختار نظرة المنقذ المحرر لهم من العبودية، التي تجثم على صدروهم، وقد التحقوا بالمختار من دون أخذ موافقة أسيادهم.

> **في ظل دولة المختار برزت تحولات اجتماعية مهمة، تمثلت في إعادة ترتيب موازين القوى داخل المجتمع الكوفي، ولاسيما بعد أن منح المختار دورا فاعلا للموالي والفئات المهمشة، وسعى إلى الحد من هيمنة بعض الزعامات القبلية.**

القبائل العربية الكوفية: أما القبائل العربية التي كانت تسكن الكوفة، فكان لها مواقف متباينة من المختار وثورته، فمثلاً كانت قبيلة همدان منقسمة في ولائها بين المختار وأعدائه.

القرّاء: إذ كان من الذين وقفوا مع المختار في قيام دولته قرّاء المِصر.

النصارى: وهم قوم من قبائل شتى، اجتمعوا على النصرانية، ويعزى سبب هجرتهم من قبائلهم نحو الحيرة، لأنهم اختلفوا مع قومهم، أو بسبب وضعهم الاقتصادي، فنزلوا وبنوا مساكنهم فيها، وقد وقف هؤلاء النصارى الى جانب المختار في ثورته، فذكر أحد المؤرخين المحدثين أن من أسباب قوة المختار أنه انضمت اليه عناصر مسيحية من سكان

العـراق[٣].

ويمكـن أنّ نسـتنتج أنّ المجتمـع الكـوفي بأغلـب مكوناتـه شـارك في ثـورة المختـار، وهـذه المشـاركة أثـارت حفيظـة بعـض أشراف الكوفـة مـن أتباع الأمويـين، الذين فقـدوا نفوذهـم وامتيازاتهم نتيجة لسياسـة المختـار، التـي أولـت الطبقـات المسـحوقة في المجتمـع دوراً لم يعتـد الأشراف عليـه، فضـلاً عـن قيـام المختـار بالقصـاص مـن قتلـة الإمـام الحسـين عليه السلام، ولعـب هـؤلاء دوراً في قتالـه ومسـاعدة أعدائـه بالقضـاء على ثورتـه، فعقـدوا العزم وحاربـوا دولته ووظفـوا نفوذهـم في كسـب ولاء الزبـير وتحريضهـم عـلى قتاله، فنجحـوا في القضاء عـلى تلـك الدولـة بعـد حين.

المشروع العلوي:

في ظـل دولـة المختـار بـرزت تحـولات اجتماعيـة مهمـة، تمثلـت في إعـادة ترتيـب موازيـن القـوى داخـل المجتمـع الكـوفي، ولاسـيما بعـد أن منـح المختـار دوراً فاعـلاً للمـوالي والفئـات المهمشـة، وسـعى إلى الحـد مـن هيمنـة بعـض الزعامـات القبليـة، التـي كان لهـا تأثـير كبـير في القرار السـياسي، وقد أسـهم هذا التوجـه في بروز حالـة مـن التفاعل الإيجـابي من جهـة، وفي إثـارة معارضـة شـديدة مـن بعـض القوى التقليديـة مـن جهـة أخـرى.

اعتمـد المختـار الثقفـي سياسـة اجتماعيـة هدفـت إلى إعـادة توزيـع النفـوذ داخـل المجتمـع الكـوفي، ولا سـيما عـن طريـق تمكـين المـوالي والفئـات الهشـة، والحـد مـن هيمنـة بعـض الزعامـات القبليـة، التـي كانـت تسـيطر عـلى القـرار السـياسي والاجتماعـي في مراحـل سـابقة.

بعـد أن فـارق المختـارُ ابـنَ الزبـير في مكةَ قصـد الكوفـة وأخذ يعمل مع الشـيعة ضد الحكـم الأمـوي وآل الزبـير معـاً، وأشـار ابـن أعثـم بوصـول المختـار إلى الكوفـة ومـا كان منـه، فذكـر مـا نصـه: "وسـار المختـار حتـى انتهـى الى نهـر الحـيرة وذلك يـوم الجمعـة فنـزل واغتسـل فيـه ثـم لبس ثيابـه واعتـمّ بعمامتـه وتقلّـد سـيفه ثـم ركـب وأقبـل حتـى دخـل الكوفـة نهـارا، فجعـل يمـر عـلى مجالـس القـوم ويقـف عليهـم ويسـلم ويقـول: أبـشروا بالفـرج، فقـد جئناكـم بما تحبـون، وأنـا المسـلّط على الفاسـقين والطالـب بدمـاء أهـل بيـت نبي رب العالمـين، ثـم أقبل إلى المسـجد الأعظم فنـزل ثم دخل المسـجد فصلى، واسـتشرف النـاس ينظـرون اليـه ويقولون هـذا المختار بـن أبي عبيـد، ومـا قـدم إلّا لأمـر ونحـن نرجـو بـه الفـرج"[٤]، ونزل بـداره المعروفة بدار سـلم بـن المسـيب بالكوفة[٥]،فلما كان من الغـد بعث إلى وجـوه الشـيعة بالكوفة،

فقال لهم:" اعلموا أني قد جئتكم من عند ولي الأمر ومعدن الفضل ووصي الوصي والإمام المهدي محمد بن علي بن الحنفية، بعثني إليكم أميناً ووزيراً وعاملاً وأميراً، وقد أمرني بقتال المحلين والطلب بدم ابن بنت نبي رب العالمين، وهذا أمر لكم فيه الشفاء وكشف الغطاء وقتل الأعداء وتمام النعماء "[٦].

وقد حصل المختار بدعوته هذه على الغطاء الكامل المتمثل بالغطاء الشرعي، وذلك لأنه أسند مقالته لرجل من البيت العلوي، الأمر الذي جعل رجالات الشيعة وأنصارهم بالتوافد على المختار، ويبدو أن المختار بن أبي عبيد الثقفي قد تبنى برنامجاً سياسياً خاصاً ومتكاملاً، سعى عبره إلى تسلم زمام الأمور في مدينة الكوفة، مستنداً في ذلك إلى رؤية مختلفة في إدارة الصراع السياسي والاجتماعي آنذاك، فقد ركز على بناء قاعدة شعبية واسعة، تضم مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية الموجودة في الكوفة، ولا سيما الموالي والشرائح المهمشة، معتمداً على استمالتها عبر خطاب ثوري، يرفع شعار الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام ونصرة أهل البيت عليهم السلام.

وفي المقابل لم يلق هذا التوجه ذلك القبول الكبير لدى حركة التوابين، إذ اتسم موقفهم بالتحفظ لنهج المختار السياسي،

استند المختار الثقفي في مشروعه السياسي في الكوفة إلى الواقع الاجتماعي المتعدد، فاعتمد على فئات محدودة داخل المجتمع الكوفي، ولاسيما الموالين وأنصار أهل البيت عليهم السلام.

نظراً لاختلاف الرؤية بين الطرفين في آليات العمل وأساليب التغيير، فقد ركز التوابون على البعد الأخلاقي لحركتهم، وانصرفوا إلى التعبئة الدينية من دون الاهتمام بتنظيم الموارد المالية أو استثمار الامكانات الاقتصادية، كما لم يعملوا على استقطاب مختلف الطبقات الاجتماعية في الكوفة أو الالتفات إلى القوى الفاعلة فيها[٧].

وبذلك يمكن القول: إن التباين بين مشروع المختار السياسي وموقف التوابين لم يكن تبايناً في الهدف العام المتمثل في نصرة أهل البيت عليهم السلام، بل شمل أيضاً اختلافاً في الوسائل والبرامج السياسية، الأمر الذي أسهم في تفرد المختار بالمبادرة السياسية وقدرته على بسط نفوذه في الكوفة، في مقابل محدودية تأثير حركة التوابين في الواقع السياسي آنذاك[٨]، ونلحظ أن المختار

قد اتخذ سياسة حسنة، فقد عمل على تحسين أحوال طبقة الموالي، التي كانت مضطهدة في الحكم الأموي، وجعلهم يساوون العرب في الحقوق والواجبات، وعمل على تحسين أحوالهم السياسية والاجتماعية، ما استمالهم إليه، حتى بلغ عددهم نحو أربعين ألف رجل منضمين تحت لوائه يقاتلون معه[٩].

وأخيراً فإن المختار الثقفي اعتمد سياسة إجتماعية هدفت إلى إعادة توزيع النفوذ داخل المجتمع الكوفي، ولا سيما عن طريق تمكين الموالي والفئات الهشة، والحد من هيمنة بعض الزعامات القبلية، التي كانت تسيطر على القرار السياسي والاجتماعي في مراحل سابقة، وأسهمت هذه السياسة في إحداث تغيرات واضحة في البنية الاجتماعية، تمثلت في بروز أدوار اجتماعية جديدة، وتعزيز الشعور بالمشاركة لدى فئات كانت مستبعدة من التأثير.

وفي المقابل إنّ هذه التحولات الإجتماعية لم تكن بمنأى عن التحديات، إذ واجهت دولة المختار معارضة شديدة من القوى التقليدية، التي تضررت مصالحها فضلاً عن استمرار الانقسامات الإجتماعية والسياسية داخل المجتمع الكوفي، وقد كان لهذا الواقع أثر مباشر في عدم استقرار الدولة المختارية، وانعكاس ذلك على مسارها السياسي، وانتهائها في مدة زمنية قصيرة.

وعلى وفق ذلك فإن فَهْم هذه التحولات الإجتماعية في الكوفة في عهد المختار الثقفي يُعدّ عنصراً أساسياً لفهم طبيعة تجربته السياسية، إذ لا يمكن تفسير نجاحه المؤقت او إخفاقه اللاحق بمعزل عن البيئة الإجتماعية للمجتمع الكوفي وتفاعلاته الداخلية.

---

١. صفاء الخطيب، دولة المختار الثقفي:٢٠٧.
٢. ابراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري:٢١٧.
٣. أحمد أمين، فجر الإسلام:٩٠-٩١.
٤. عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية:٢/ ١١٧.
٥. أبي محمد أحمد ابن أعثم الكوفي،الفتوح:٢٠٨.
٦. المصدر نفسه:٢٠٨.
٧. أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال:٣٠٠.
٨. لبيد أبراهيم احمد وآخرون، الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي:٤٨.
٩. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي،المنتظم:٦/ ٥٢.



غزوة مؤتة

في اليوم السادس من جمادى الأولى سنة ٨ هجرية،
كانت غزوة مؤتة ومقتل جعفر بن أبي طالب عليه السلام [1].

قال الزهري: لما قدم جعفر بن أبي طالب عليه السلام من بلاد الحبشة، بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مؤتة، واستعمله على الجيش مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، فحضر الناس معهم حتى كانوا بتخوم البلقاء، فلقيهم جموع هرقل من الروم والعرب، فانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس عندها واقتتلوا قتالاً شديداً، وكان اللواء يومئذٍ مع زيد بن حارثة، فقاتل به حتى شاط في رماح القوم، ثم أخذه جعفر فقاتل به قتالاً شديداً، ثم اقتحم عن فرس له شقراء، فعقرها وقاتل حتى قُتل.

قال: وكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فرسه في الإسلام، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فقاتل حتى قتل، وأنفذ رجل من المسلمين يقال له عبد الرحمن بن سمرة إلى النبي صلى الله عليه وآله بالخبر، فقال عبد الرحمن: فصرت إلى النبي صلى الله عليه وآله، فلما وصلت إلى المسجد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: على رسلك يا عبد الرحمن، ثم قال صلى الله عليه وآله: أخذ اللواء زيد فقاتل به فقتل، رحم الله زيداً، ثم أخذ اللواء جعفر وقاتل وقتل، رحم الله جعفراً. ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة وقاتل وقتل، فرحم الله عبد الله.

قال: فبكى أصحاب رسول الله ﷺ وهم حوله، فقال لهم النبي ﷺ: وما يبكيكم؟ فقالوا: وما لنا لا نبكي وقد ذهب خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منّا؟ فقال لهم ﷺ: لا تبكوا، فإنما مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فأصلح، رواكبها وبنى مساكنها وحلق سعفها. فأطعمت عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً، فلعل آخرها طعماً أن يكون أجودها قنواناً، وأطولها شمراخاً أما والذي بعثني بالحق نبياً ليجدن عيسى بن مريم في أمتي خلفاً من حواريه[٢].

وسبب الغزوة أنّ رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي في سنة ثمان إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال: أين تريد؟ قال: الشام، قال: لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم. فأمر به فأوثق رباطاً، ثم قدمه فضرب عنقه صبراً، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره. وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه، وندب الناس وأخبرهم بقتل الحارث فأسرعوا وخرجوا فعسكروا بالجرف. فلما أجمع المسير وعقد رسول الله ﷺ لهم اللواء دفعه إلى زيد بن حارثة، وهو لواء أبيض، ومشى الناس إلى أمراء رسول الله ﷺ يودعونهم ويدعون لهم، وكانوا ثلاثة آلاف[٣].

وروي أنّ رسول الله ﷺ لما أتاه قتل جعفر وزيد بمؤتة بكى، وقال: أخواي ومؤنساي ومحدثاي[٤]. وكان جعفر بن أبي طالب أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ويدعو فيها. فكان ثاني رجل من المسلمين، إذ الأول أمير المؤمنين عليه السلام، والثاني جعفر، ذلك أنّ أبا طالب لما رأى النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام يصليان، أمر جعفرا بالالتحاق برسول الله ﷺ وقال له: صل جناح ابن عمك. وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، ومعه امرأته أسماء بنت عميس. وولد له هناك عبد الله وعون ومحمد، فلم يزل بأرض الحبشة حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم قدم عليه جعفر من أرض الحبشة، وهو بخيبر سنة سبع، فالتزمه رسول الله ﷺ وقبّل ما بين عينيه، وقال: ما أدري بأيهما أنا أفرح؟ بقدوم جعفر، أو بفتح خيبر[٥].

ومروي أنّ رسول الله ﷺ نبئ يوم الاثنين. وآمن به علي عليه السلام يوم الثلاثاء، ثم أسلمت خديجة بنت خويلد زوجة النبي ﷺ، ثم أسلم بعد علي عليه السلام جعفر وزيد. وكان رسول الله ﷺ يصلي بعلي وجعفر وزيد، وخديجة خلفهم[٦].

---

(١) وقائع الشهور والأيام: ٩٤.
(٢) مقاتل الطالبيين: ٦.
(٣) بحار الأنوار: ٢١/ ٥٩.
(٤) أنساب الأشراف: ٤٤.
(٥) مستدرك الحاكم: ٣/ ٢٠٨.
(٦) سعد السعود: ٨٦.

لاذوا بالجوار

- السيد عدنان شبر الغريفي
(١٢٨٣ ـ ١٣٤٠ هـ / ١٨٦٦ ـ ١٩٢٢ م)
عالم فقيه أصولي



عدنان شبر الغريفي (١٢٨٣ـ١٣٤٠ هـ/ ١٨٦٦ـ١٩٢٢ م) عالم فقيه أصولي

من العلماء الذين تعلقوا بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومدينته العلمية وتمنى الدفن فيها بجوار إمامه ، العلاّمة السيد عدنان بن شبر الغريفي، فهو عالم وفقيه وأديب وشاعر ونسّابة، من أجلاء الفقهاء وأساتذة الحوزة العلمية ونوابغ الزمان، ولد في البصرة ، وقيل في المحمرة[1]، من أسرة علمية علوية شريفة .

نسبه

هو السيد عدنان بن شبر بن علي المشعل الأصغر بن محمد الغياث بن علي المشعل الأكبر بن أحمد المقدس المعروف بـ (الحمزة الشرقي) بن هاشم البحراني بن علوي (عتيق الحسين عليه السلام) بن حسين الغريفي البحراني، صاحب كتاب (الغنية في مهمات الدين عن تقليد المجتهدين) في الفقه، وينتهي به النسب الى إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام[٢].

سبب تسمية (الغريفي):

عرفت هذه الأسرة بالغريفي واشتهرت به نسبة إلى الجد الأعلى للأسرة الشريف العلاّمة السيد الحسين صاحب كتاب (الغنية)، المعروف بـ (العلامة الغريفي) و(الشريف الغريفي) الذي استوطن مع أبيه قرية (الغريفة) في البحرين، وقد هاجر إليها والده من كربلاء المقدسة حدود سنة (٩١٩هـ/ ١٥١٣م) بداية الحكم الصفوي في العراق وقد برز منها أكابر العلماء والفقهاء الأفاضل[٣].

أعلام اسرة الغريفي:

ومن أبرز أعلام هذه الأسرة السيد حسين الغريفي الذي وصفه الشيخ علي البلادي بأنه: (أفضل أهل زمانه وأعبدهم وأزهدهم كان متقللاً في الدنيا، وله كرامات وله كتب نفيسة منها كتاب (الغنية في مهمات الدين عن تقليد المجتهدين) لم ينسج على منواله أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين فهو أبو غدير تلك الطريقة وابن جلائها وله فيها اليد البيضاء ومن تأملها بعين الإنصاف أذعن بغزارة مادته وعظم فضله ولم يكملها بل بلغ فيها إلى كتاب الحج وهو عندي، وفيه من الفوائد ما لا يوجد في غيره، ومن مؤلفاته أيضاً شرح الرسالة الشمسية، وشرح المائة العامل، ورسالة مليحة في علم العروض والقافية وله على الذكري حواش مفيدة وكان شاعراً مصقعاً)[٤].

نشأته ودراسته:

نشأ السيد عدنان الغريفي في هذه الأسرة التي تدرجت في مجالس العلم والأدب، وقد مات أبوه وهو في الخامسة من عمره، فأخذته والدته إلى خاله السيد سلمان ونشأ بها، وظهر نبوغه مبكراً وشغف بالعلم والأدب منذ نعومة أظفاره[٥].

في الرابعة عشرة من عمره سافر الغريفي إلى النجف الأشرف فدرس على يد كبار أساتذة النجف منهم: ابن عمه السيد علي بن محمد الغريفي والد السيد مهدي البحراني، والميرزا حبيب الله الرشتي، والشيخ محمد طه نجف، والشيخ محمد حسين الكاظمي، والسيد محمد سعيد الحبوبي.

إجازته بالاجتهاد:

درس عند السيد المجدد آية الله محمد حسن الشيرازي (قد) في سامراء، فأجيز بالاجتهاد وهو في العقد الثالث من عمره، من قبل أستاذه المجدد والشيخ محمد طه نجف، وكان ملازماً لهما مدة طويلة، وكذلك أجيز بالاجتهاد من قبل الميرزا حبيب الله الرَّشتي، والسيد علي بن محمد البحراني الغريفي ــ ابن عمه ــ والشيخ محمد رضا الدزفولي، والشيخ علي بن غلام علي البهبهاني، والشيخ محمد رضا التستري[٦].

إمام جمعة البصرة:

انتقل إلى البصرة بطلب من أهلها، ليكون بينهم زعيماً دينياً وإماماً للصلاة بعد وفاة عالم البصرة الجليل السيد ناصر بن أحمد البحراني سنة (١٣٣١هـ).

مؤلفاته:

ألّف الغريفي وصنّف في مختلف العلوم والفنون ومن مؤلفاته: (جامع الجوامع)، (الأنساب)، (أرجوزة في الحج وأسراره، تقع زهاء ألف بيت)، (رسالة في الوضع)، (الدليل القطعي على انتظام القدر المرعي، وهو رسالة في الموازين)، (الشافية، وهو كتاب فقهي عملي كبير)، (قبسة العجلان في صلاة أهل الإيمان)، (شرحان لأرجوزة أستاذه السيد علي السيد محمد البحراني الغريفي في الهيئة)، (أجوبة المسائل وهي جوابات لمسائل أستاذه الميرزا حبيب الله الرشتي)، (حواش وتعاليق على كتاب القوانين في الأصول للميرزا القمي، (حواش على كتاب مكاسب الشيخ الأنصاري)، (حواش على كتاب العروة الوثقى للسيد كاظم اليزدي)، (حواشي وتعاليق على كتاب الدرجات الرفيعة)، (تشطير وتخميس العلويات السبع لابن أبي الحديد المعتزلي)، (شرح كتاب تبصرة المتعلمين للعلامة الحلي)، (أراجيز كثيرة في مختلف العلوم والفنون)، (كتاب في علم الجفر في كراريس)، (ديوان شعر كبير)، (مناسك الحجّ)، (منظومة في الحجّ وأسراره) (الصرخة المهدوية الكبرى في زيارة عاشوراء وكيفيّتها)، (نظم حديث الكساء)[٧].

قالوا فيه[٨]:

قال عنه السيد محسن الأمين: (عالم فقيه أصولي أديب شاعر..).

وقال الشيخ علي كاشف الغطاء: (كان وهو ابن الأربع عشرة سنة يحفظ أربعة عشر ألف بيت من الشعر وكان يحفظ القصيدة طالت أو قصرت بمجرد تلاوتها، وسئل يوماً عما يحفظ من الشعر فأجاب أنه يستحضر ثلاثين ألف بيت من الشعر وكان يحفظ أغلب المتون وشرح ابن الناظم على الألفية متناً وشرحاً).

وقال السيد جواد شبر: (وهو العلم الشهير

الغني عن التعريف أجيز في الاجتهاد والفتوى ولم يبلغ الثلاثين من عمره وكان آية في الحفظ والذكاء، وله شعر كثير ورائق).

وقال السيّد حسن الأمين: (كان فقيهاً أُصولياً، نسّابة شاعراً، متميّزاً في الحفظ وسرعة البديهة).

وقال خير الدين الزركلي: (شاعر عراقي، فقيه إمامي).

قال الدكتور حسين علي محفوظ: (حدثني تلميذه صديقنا العلاّمة الجليل المالك لنواحي علوم اللغة العربية محمد رضا آل أسد الله الاحضاري الكاظمي (رحمه الله) قال أحببت أن أرى إجازات هؤلاء له فأخرجها لي وأنشد المترجم مرتجلاً:

استجز في العلومِ طرَّاً من الله
ودع عنكَ مَن على الغبراءِ
إنَّ مَن لم يجـــزه ربُّ البرايا
لـــــــم تفدهُ إجازةُ العلماءِ)

وقال عنه الخاقاني: (عالم جهبذ، وفذ شهير، وشاعر مطبوع)

وقال الحاج حسين الشاكري: (عالم فذ وشاعر أديب)

وقال الشيخ أغا بزرك الطهراني: (عالم كبير، وفقيه بارع... فلا شكّ في أنّه كان على جانب كبير من الفطنة والذكاء، وسرعة البديهة، والقدرة على الحفظ... وأصبح في عداد الأجلّاء البارزين، والفقهاء المجتهدين، ووجوه رجال الدين).

وقال الشيخ محمد السماوي: (فاضل من الطراز الأول، كان أبوه من أجلة العلماء في البحرين وذوي الشهامة، جاء ولده هذا من المحمرة إلى النجف لطلب العلم، فنال منه مناه، عاشرته فرأيته خير أخ مصاحب، حفظة متوقد الذهن، حاضر الخاطر، سريع الجواب، حين النادرة، طلق اللسان، وافر البيان، لم يضرا بالإنسان، فقيهاً أصولياً مشاركاً في المنقول والمعقول، وله منظومة في الأوفاق نظمها باسمي سنة إحدى عشر بعد الألف والثلاثمائة عند نزوله علي في السماوة ضيفاً كريماً مستطرقاً إلى محله).

وقال الدكتور كامل سلمان جاسم الجبوري: (عُرف بين طبقات أهل العلم والفضل والأدب وبلغ مرتبة عالية ودرجة رفيعة وأصبح من وجوه الفقهاء المجتهدين كما وقد برع وتضلع في الأدب والحكمة والتاريخ والحديث والتفسير فتصدى للتدريس والتأليف وتتلمذ عليه كثير من الأجلاء والأعلام).

شعره وشاعريته:

قال علي الخاقاني: (لو جمع شعره لزاد على مائة ألف بيت لأنه كان سريع النظم، قوي البديهة، ولم يتكلف في شعره ببيت واحد.... وقد عانيت في سبيل جمع بعضه حتى وجدت له ديواناً يقع في ١٦٠ صفحة..)[٩].

قال الغريفي في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

إمامُ الهدى وغياثُ الورى
وحاكمُها السيدُ المُقسطُ

إمـــامٌ بهِ هلكَ المبغضونَ
وفـي حبّهِ هلكَ المفرطُ
كلا الـــــــجانبينِ عدوٌّ له
وشيعتُه النمطُ الأوسطُ

وفاته ورثاؤه:

تُوفي الغريفي في الكاظمية بعد أن نقل إليها من البصرة إثر تعرضه لمرض شديد، فنقل جثمانه إلى النجف الأشرف، وصلّى عليه السيد أبو الحسن الموسوي الإصفهاني، ودُفن في الصحن الحيدري الشريف في الغرفة رقم -٢-[١٠]، وأولاده هم: محمد سعيد، ومحمد حسن، وعلي، ومحمد علي، وشبر، ومحمد كاظم

وقد أرخ وفاته الشيخ جمعة الحائري بقوله:

ونعى به الروحُ الأمينُ مؤرِّخاً
عدنانُ قُوِّضَ بعدكَ الإسلامُ[١١]

كما أرخه الحاج عبد المجيد العطار بقوله:

بُوركتِ مِن تربةٍ ضممتِ فتىً
كـــان لعينِ الزمانِ إنسانا
فـــــما تعدّى الحجى مُؤرِّخُها
جناتِ عدنٍ مثوىً لعدنانا[١٢]

كما وأرّخ الشيخ محمّد السماوي عام وفاته بقوله:

والـسيّدُ ابنُ شبّرٍ عدنانُ
أعني الغريفي أخا الإيمانِ
حلَّ من الغريِّ روضاً فارتضى
تاريخُهُ قدسُ عدنانُ رضا

وأرخه الشيخ كاظم آل نوح بقوله:

صكَّ سمعَ الدهرِ نعيُ فتىً
منه أسدى للورى مرضا
مُذ قضى عدنانُ أرّخه هدّ
ركـــــنُ الدينِ يومَ قضى

ورثاه الشيخ محمد علي اليعقوبي بقصيدة منها:

أكـــــــــذا تطيـحُ دعائمُ الإسلامِ
أكذا تقلّـــــــــصُ بهجةُ الأيامِ[١٣]

.....

١ ــ علي الخاقاني، شعراء الغري: ٦/ ١٧٨.
٢- جواد شبر، أدب الطف: ٩/ ٢١-٤٣، علي الخاقاني، شعراء الغري: ٦/ ١٧٨.
٣ ـ تاريخ عائلة الغريفي البحرانية المشردة في العراق (الحلقة ١) / موقع سنوات الجريش تاريخ وتراث البحرين بقلم: المرجع السيد علاء الغريفي النجفي، تعليق جاسم حسين آل عباس
٤ ــ من تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، أنوار البدرين: ٨١.
٥ ــ علي الخاقاني، شعراء الغري: ٦/ ١٧٨.
٦ ــ المصدر نفسه: ٦/ ١٧٩ ــ ١٨٠.
٧ ــ تاريخ عائلة الغريفي البحرانية المشردة في العراق (الحلقة ١)، موقع سنوات الجريش تاريخ وتراث البحرين بقلم: المرجع السيد علاء الغريفي النجفي، تعليق جاسم حسين آل عباس، أدب الطف: ٩/ ٢٢، علي الخاقاني، شعراء الغري: ٦/ ١٨٠ ــ ١٨١
٨ ــ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٨/ ١٤٢، علي الخاقانيي، شعراء الغري: ٦/ ١٧٨.
٩ ــ علي الخاقاني، شعراء الغري: ٦/ ١٨٤.
١٠ ــ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٨/ ١٤٢.
١١ ــ علي الخاقاني، شعراء الغري: ٦/ ١٨١.
١٢ ــ جواد شبر، أدب الطف: ٩/ ٢٣.
١٣ ــ المراثي عن: تاريخ عائلة الغريفي البحرانية المشردة في العراق (الحلقة ١) / موقع سنوات الجريش تاريخ وتراث البحرين بقلم: المرجع السيد علاء الغريفي النجفي، تعليق جاسم حسين آل عباس.



أروقة الحرم

العتبة العلوية المقدسة تشهد انطلاق مشروع (ألفيَّة الحوزة العلمية)

برعاية الأمانة العامة للعتبة العلوية المقدسة شهد الصحن الحيدري الشريف في النجف الاشرف انطلاق مشروع (ألفيَّة الحوزة العلمية)، بحضور نخبة من العلماء الأعلام وأساتذة وطلبة الحوزة العلمية من داخل العراق وخارجه، وأمناء وممثِّلي العتبات المقدسة والمزارات الشريفة، إلى جانب نخبة من الأكاديميين والضيوف والمسؤولين من محافظة النجف الأشرف.



كلمة العتبة العلوية المقدسة

واستُهِلَّ الحفل الكريم بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، أعقبتها قراءة سورة الفاتحة المباركة، ثم كلمة الأمانة العامة للعتبة العلوية المقدسة، ألقاها الأمين العام، الخادم السيد عيسى الخرسان، مستعرضًا فيها سيرة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وامتدادها العلمي، وإسهامات علمائها الأعلام، من الشيخ الطوسي، مرورًا بالسيد كاظم اليزدي، والشيخ النائيني، والمرجع السيد محسن الحكيم، والمرجع الخوئي، وصولًا إلى المرجع الديني آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله).

وأكّد السيد الخرسان في كلمته أن الحوزة العلمية، في امتدادها، حلقة من العلم الموروث، وأنها لم تكن مقطوعة عن أصلها ولا مُبتدَأة من يومها، بل كانت فرعًا من أصل ثابت؛ يحمل آخرها عن أولها، ويأخذ خلفها عن سلفها علمًا بعد علم، ودرسًا بعد درس، حتى غدا الزمان، على تعاقبه، كأنما هو مجلس واحد، والعلماء، على تباعد أعصرهم، كأنهم أهل طبقة واحدة.

وقال: «ومن هنا تكون الألفيَّة عهدًا في أعناقنا؛ عهدًا مع أمير المؤمنين عليه السلام الذي أظلّت رايته هذه المدرسة، وعهدًا مع علماء مضوا وتركوا لنا آثارهم، وعهدًا مع أجيال ستأتي فتسأل: ماذا حفظتم مما استُحفظتم؟».

كلمة الحوزة العلمية

ألقى كلمةَ الحوزة العلمية الأستاذُ في الحوزة العلمية، سماحة السيد رياض الحكيم، الذي أكّد أن مدرسة أهل البيت عليهم السلام المعطاء تضمّ في حواضرها حوزة النجف الأشرف العريقة، مبيّنًا أن إحياء ذكرى انطلاقتها قبل ألف عام يحمل في طيّاته قصةً وعبرةً؛ إذ نشأت من رحم



المعاناة والمحنة، بدءًا من محنة الشيخ الطوسي، الذي حوّلها إلى فرصة شيّد بها صرحًا علميًّا ما زال يؤتي أُكُلَه كل حين.

وقال السيد الحكيم: إن الحوزة العلمية العريقة تألقت وحفظت قرارها واستقلالها، فكان قرارها نابعًا من اجتهادات مراجعها ورجالاتها، ولم يكن مفروضًا عليها من جهات أو سلطات، وحافظت بنور بصيرتها على المسار المستقيم لمدرسة أهل البيت عليهم السلام في مواجهة الفتن المتلاحقة والمتنوّعة، وبذلك حفظتِ الأمةَ من الزيغ والانحراف والضياع.

وأضاف أن مواقف الحوزة كانت منسجمة مع مصالح الأمة ومقدساتها، وجاءت وفقًا للحكمة والضوابط الشرعية، لا بدافع عاطفي وانفعالي، مؤكدًا أن هذه الإنجازات جعلت لهذه الحوزة العريقة هويتها الأصيلة، وحفظت بها مسيرتها، حتى غدت اليوم عمقًا وأصالةً لمدرسة أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم).

واختتم السيد رياض الحكيم كلمته بتثمين جهود العتبات المقدسة في إحياء مشروع الألفيَّة، مؤكدًا أنها خطوة مباركة، ومعبّرًا عن أمله في أن تنسجم جميع الفعاليات وتتكاتف الجهود في سبيل التعريف بالحوزة العلمية.

ثم أُلقيت قصيدة شعرية عن تاريخ النجف الأشرف والحوزة العلمية، ألقاها الشيخ عبد المجيد فرج الله.

واختُتم الحفل بعرض مقطع فيديو تعريفي عن حياة الشيخ الطوسي قدس سره، وتقديم عرض حول إزاحة الستار عن مجلد (وقفيات المصاحف المخطوطة في الخزانة العلوية)، بقلم الشيخ حسين الواثقي، وهو سِفر يمثّل أول تأليف مستقل جمع ذخائر الوقف القرآني من جوار مرقد المولى أمير المؤمنين عليه السلام.

عالِمة غير مُعلَّمة

نشأت السيدة زينب الكبرى عليها السلام في بيت العلم والمعرفة، ومهبط الوحي والتنزيل؛ فقد عاشت في كنف مدرسة النبوة والإمامة، وتخرجت على يديّ هاتين المدرستين. لقد عاصرت خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله، ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام، وأم أبيها فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، والحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة. ومن ترعرعت في مدرسة كهذه، يكفيها فخراً أن تكون الأنموذج الأسمى للمرأة المؤمنة الصالحة العفيفة.

فعن عفتها روى يحيى المازني قال: ((كنت في جوار أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة مدة مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فلا والله ما رأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله تخرج ليلاً والحسن عن يمينها، والحسين عن شمالها، وأمير المؤمنين أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأخمد ضوء القناديل، فسأله الحسن مرّة عن ذلك؟ فقال: أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب))[1].

كما يُروى أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان إذا زارته زينب عليها السلام يقوم إجلالاً لها ويجلسها في مكانه؛ ويا لها من منزلة عظيمة كانت تحظى بها السيدة عليها السلام عند أهل بيتها الكرام.

أما علمها عليها السلام، فهو بحر لا ينضب؛ فإنها المتربية في مدينة العلم النبوي، المعتكفة في رحاب بابها العلوي، المتغذية من معين أمها الصديقة الطاهرة عليها السلام، وقد قضت عمراً من الدهر مع الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام اللذين كانا يزقّانها العلم زقاً، فهي من عباب علم آل محمد عليهم السلام وفضائلهم، كما قال عنها الإمام السجاد عليه السلام: ((أَنْتِ بِحَمْدِ اللهِ عَالِمَةٌ غَيْرُ مُعَلَّمَةٍ، وَفَهِمَةٌ غَيْرُ مُفَهَّمَةٍ))[2].

---

١. حسين الشاكري، العقيلة والفواطم: ١٨.
٢. النمازي الشاهرودي: ٤/ ٣١٥.





مسابقة علمية خاصة بهذا العدد،
يمكنكم الاشتراك بها إلكترونياً
عبر مسح الباركود

forms.gle/uNTQw4ComVk8RrE58

علماً أن أجوبة الأسئلة تجدونها في مقالات هذا العدد

آخر موعد للمشاركة يوم 28 جمادى الأولى

هناك هدايا مالية لثلاثة فائزين

تعلن أسماء الفائزين في
المسابقة عبر قناة مجلة
الولاية في التلكرام